"ترجيحات الإمام الشوكاني في سورة الفرقان دراسة تحليلية"

إعداد الباحثة /

حنان فتحي أحمد

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر- بنات القاهرة

ترجيحات الإمام الشوكاني في سورة الفرقان دراسة تحليلية

حنان فتحي أحمد محمد

قسم التفسير وعلوم القرآن ، شعبة أصول الدين ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ،جامعة الازهر، بنات القاهرة ، مصر.

البريد الإلكتروني: hananfathy714@yahoo.com

الملخص:

إن علم قواعد التفسير من أهم العلوم التي لا غنى للمفسر عنها ، فهي التي تعين على فهم كتاب الله ــ تبارك وتعالى ــ فهمًا صحيحًا ، وقد اعتمد عليها المفسرون الأوائل والمتأخرين في الترجيح بين الأقوال المختلفة في تفسير آيات القرآن ، وبيان القول الصحيح منها واستبعاد ما عداه.

ونظرًا لأهمية هذا الموضوع أردت إلقاء الضوء على منهج الإمام الشوكاني في اختيار الرأي الصواب في معنى الآية ، وبيان مدى اهتمامه بقواعد التفسير وتطبيقه لها عند الترجيح.

وقد جاء البحث مشتملًا على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وقد اشتمل المبحث الأول على التعريف بالإمام الشوكاني وكتابه في التفسير،والتعريف بقواعد الترجيح ونشأت هذا العلم.

أما المبحث الثاني فكان في الدراسة التحليلية لترجيحات الإمام الشوكاني في سورة الفرقان ،وتناولت فيه دراسة ترجيحات الإمام التي صرح فيها بذكر القاعدة التي اعتمد عليها عند الترجيح ، و دراسة المواضع التي رجح فيها دون ذكر لموجب الترجيح.

الكلمات المفتاحية : القواعد ، الترجيح ، دراسة ، تحليلية ،منهج ، المختلفة.

Imam Al-Shawkani's weightings in Surat al-Furqan analytical study

Hanan Fathi Ahmed Mohammed
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Division of Religious Origins, Faculty of Islamic and Arab Studies, Al-Azhar University, Cairo Girls, Egypt.
E-mail: hananfathy714@yahoo.com

Abstract:
The science of the rules of interpretation is one of the most important sciences that are indispensable to the interpreter, because it is the one that has to understand the Book of Allah to bless and exalt the Exaltation, and the first and late interpreters have relied on them to weigh between different words in interpreting the verses of the Qur'an, and to make the correct statement from them and exclude others.
In view of the importance of this topic, I wanted to shed light on imam Al-Shawkani's approach to choosing the right opinion in the meaning of the verse, and to show his interest in the rules of interpretation and apply it to them when weighting.
The research included an introduction, two scholars and a conclusion, and the first topic included the introduction of Imam Al-Shawkani and his book in interpretation, and the definition of weighting rules and the emergence of this science.
The second topic was in the analytical study of the weights of Imam Al-Shawkani in Surat al-Furqan, in which he discussed the study of the imam's weights, in which he stated that he mentioned the rule on which he relied upon when weighting, and the study of the places where he preferred without mentioning the duty to weight.

Keywords: Rules, Weighting, Study, Analytical, Methodology, Different.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ،

إن من أجل نعم الله على الأمة الإسلامية القرآن الكريم ، كتاب مبارك نزل على خير الخلق محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليكون للعالمين نذيرا ، قال تعالى **(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)**[1]، فهو كتاب مبارك ، فيه خير كثير ، وعلم غزير ، فيه هدى لكل ضلالة ، وشفاء من كل داء ، ونور يستضاء به في الظلمات ، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون ، فيه الأدلة القطعية على كل مطلوب ، فهو للأمة دستور ونور.

وقد جعل المولى ــ عز وجل ــ الحكمة من إنزاله (ليدبروا آياته) ، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها ، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه ، وإعادة الفكر مرة بعد مرة ، تدرك بركته وخيره ، وبحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب[2].

وقد تنافس الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ومن أتى بعدهم من علماء المسلمين في تدبر آيات القرآن ، وبيان معانيه ، واستنباط أحكامه وحكمه.

---

[1] ــ ص : ٢٩ .

[2] ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، ص ٧١٢ ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

ولقد كانوا ــ رضي الله عنهم ــ وكذلك من بعدهم يتفاوتون في فهم القرآن، ويشكل على بعضهم ما لا يشكل على الآخر، ولو تساوت الأذهان في إدراك معاني القرآن لبطل التنافس، وخرج إلينا التفسير على طابع واحد .

وكما تفاوتت عقول المسلمين في الفهم والإدراك ، تفاوتت دلالة ألفاظ آيات القرآن على المعاني وضوحًا وخفاءً، ولو كانت الآيات تتساوى في إدراكها الأفهام ، لخمدت الهمم وركدت الأذهان ، لعدم وجود ما يحملها على التفكير العميق ، لكن المولى جلت حكمته جعل كتابه الكريم بحيث تختلف الأفهام والقرائح في إدراك أسراره واجتلاء معانيه ، فاحتيج إلى علوم تساعد في تفهم أسرار هذا الكتاب ، فشمر علماء الأمة سواعدهم، ودونت علوم التفسير بأنواعها، وتعددت أقسامها التي تبين للمفسر طرق استخراج أحكام آياته، ولطائف معانيه بأصح الطرق وأصوبها [1].

ومن أهم العلوم التي تضبط الفهم والنظر وتعين على فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا بعيدًا عن الشطط علم قواعد التفسير.

وقد اعتمد هذا العلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في توضيح ما أشكل على الصحابة من معانى القرآن .

وكذلك اعتمده الصحابة والتابعون ومن أتى بعدهم من علماء المسلمين .

وكما اعتمد المفسرون على هذه القواعد لتفسير كتاب الله ــ تعالى ــ تفسيرًا صحيحًا ، اعتمدوا عليها أيضًا عند الترجيح بين الأقوال المختلفة

[1] ــ أصول التفسير وقواعده ، المؤلف : خالد عبد الرحمن العك ، ص ١١ ، ١٢ بتصرف ، الناشر : دار النفائس ــ دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦ هـ- ١٩٦٨م.

في التفسير، وأطلقوا عليها "القواعد الترجيحية" ، وقد نال قصب السبق في استعمال هذه القواعد من المفسرين المتقدمين الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره المسمى " جامع البيان في تأويل القرآن " .

ومن المفسرين المتأخرين الإمام الشوكاني ، فقد أعمل هذه القواعد بطريقة واضحة في تفسيره المسمى بـ " فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير" ، ويعد استعماله لها معلمًا ظاهرًا تميز به منهجه في التفسير، وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره فقال : "وهذا هو المقصد الذي وطنت نفسي عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه إن شاء الله مع تعرضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لي وجهه"[1].

فكان ـ رحمه الله ـ يسوق أقوال المفسرين في الآية ، ثم يتبع ذلك باختيار القول الذى يراه صوابًا ، أو يرد القول البعيد المتكلف معتمدًا في ذلك على القاعدة التفسيرية ذاكرًا لها ، وفى بعض الأحيان كان يرجح ويختار دون ذكر للقاعدة التي بنى عليها اختياره .

وقد حاولت في هذا البحث دراسة ترجيحات الإمام الشوكاني في سورة الفرقان دراسة تحليلية ، وذلك لبيان منهجه في الترجيح ، والقواعد المرجحة التي اعتمد عليها عند اختيار القول الصواب والأولى في معنى الآية .

---

[1] ـ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ج١ ص ١٤ ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

أهمية الموضوع وسبب اختياري له :

١ــ ترجع أهمية هذا الموضوع لكونه متعلقًا بأشرف الكتب القرآن الكريم ، وأشرف العلوم وهو علم التفسير.

٢ ــ تعلق الموضوع بأهم العلوم التي يحتاج إليها المفسر ، ويعتمد عليها لفهم كتاب الله فهمًا صحيحًا ، وهو علم قواعد الترجيح .

٣ ــ عمق الموضوع من الناحية العملية ، حيث إنه يتيح للباحث إعمال الفكر والنظر لاستنباط القواعد التي بنى عليها المفسرون اختياراتهم .

أسباب اختيار الموضوع :

ا ــ بيان الجهد الذي بذله علماء الأمة في خدمة كتاب الله تعالى .

٢ ــ بيان اجتهاد الإمام الشوكاني في الترجيح بين أقوال المفسرين ، واستخدامه لقواعد التفسير عند الترجيح .

٣ ــ بيان مدى موافقته أو مخالفته لمن سبقه من المفسرين ممن عنوا بهذا الأمر واستخدموه في تفاسيرهم .

٤ ــ دراسة القواعد التي تعين على معرفة التفسير المقبول من غيره .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والاطلاع قدر الاستطاعة تبين لي بعض الدراسات التي لها صلة بالبحث أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ القواعد الحسان لتفسير القرآن ، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢ ــ أصول التفسير وقواعده ، المؤلف : خالد عبدالرحمن العك، الناشر: دار النفائس ــ دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ .

٣ ــ مختصر في قواعد التفسير، المؤلف: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار ابن القيم- دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥.

٤ ــ مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ، إعداد : الدكتور حسين بن على الحربى ، أصل الكتاب رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، الناشر : دار ابن الجوزي، الطبعة : الثالثة ١٤٣٨هـ .

٥ ــ قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير – دراسة تأصيلية تطبيقية، إعداد: عبير بنت عبد الله النعيم ، تقديم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ، أصل الكتاب: أطروحة دكتوراه، الناشر: دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

٦ ــ منهج الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير، إعداد : أحمد عبد الرحمن السيد محمد ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، ٢٠٠٢م .

خطة البحث :

جاء البحث مشتملا على مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة .

أما المقدمة : فقد تناولت فيها الحديث عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياري له ،وخطة البحث ، ومنهجي فيه .

وجاء المبحث الأول بعنوان " التعريف بالإمام الشوكاني وقواعد الترجيح " ، وقد اشتمل على مطلبين : المطلب الأول : التعريف بالإمام الشـــوكاني وتفسيره .

المطلب الثاني : التعريف بقواعد الترجيح، ونشأة هذا العلم .

المبحث الثاني ، وقد عنوت له بـــ : "الدراسة التحليلية لترجيحات الإمـــام الشوكاني في سورة الفرقان" ، وجاء مشتملا على مطلبين ، المطلب الأول : ما رجحه الإمام مع ذكر قاعدة الترجيح .

المطلب الثاني : ما رجحه الإمام دون ذكر قاعدة الترجيح .

الخاتمة : وقد اشتملت على :

١ ــ أهم نتائج البحث والتوصيات.

٢ ــ الفهارس : وقد تضمنت ما يلى :

أ ــ فهرس المصادر .

ب ــ فهرس الموضوعات .

منهج البحث :

١ ــ اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي الذى يقوم على : ذكر الآية القرآنية التي وقع الخلاف في تفسيرها ، ثم أذكر القـــول الـــذى رجحه الإمام الشوكاني، والقاعدة التي اعتمد عليها عند الترجيح ، ثم أبين موقف المفسرين منها ببيان أقوالهم وأدلتهم ، ثم أتبع ذلك ببيـــان موافقتـــه للمفسرين أو مخالفته لهم .

٢ ــ وثقت المادة العلمية على النحو التالي :

أ ــ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية .

ب ــ خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية .

ج ــ ترجمت لغير المشهورين من الأعلام .

د ــ خرجت الشواهد الشعرية .

هـ ــ عزوت كل قول لقائله مع ذكر المصدر الذى أخذته منه .

وإني لأرجو المولى ــ عز وجل ــ أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، وأن ينفع الله به عباده ، و يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، و يغفر لي تقصيري، فلم أدعى لنفسي فقهًا ولا علمًا ، وحسبي أنى بذلت قصارى جهدي في طلب العلم والبحث عنه ، وصلى اللهم وسلم على سيد الخلق محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المطلب الأول

التعريف بالإمام الشوكاني وتفسيره

نسبه ومولده : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني .

ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة)١١٧٣هـ) ثلاث وسبعين ومائة وألف في هجرة شوكان[١] ، ونشأ بصنعاء اليمن[٢].

والشوكاني نسبة إلى قرية هجرة شوكان، وهذه الهجرة قرية معمورة بأهل الفضل والصلاح، كان والده من العلماء الأجلاء ، وقد أوصل الإمام الشوكاني نسبه –بعد التحقيق– أبًا عن جد إلى سيدنا هود –عليه السلام–.

وقد برع والده في علم الفقه والفرائض، وكان من بقية السلف الصالح في التفسير والحديث، ودرس وأفتى و ولاه الإمام المهدي العباس بن الحسين

---

[١] ــ هجرة شوكان: قرية باليمن من ناحية ذمار، بين سرخس وأبيورد. ينظر : معجم البلدان ، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، باب الشين ، ج ٣ص ٣٧٣، الناشر: دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

[٢] ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، ج٢ ص ٢١٤ ، الناشر: دار المعرفة – بيروت/ وينظر : معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، المؤلف: عادل نويهض، ج٢ ص ٥٩٣ ،قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

القضاء بصنعاء، واستقر بها هو وأهله ، وكان رحمه الله محمود السيرة والسريرة متعففًا قانعًا باليسير طارحًا للتكلف[1].

حياته العلمية : مما سبق من ترجمة الإمام الشوكاني يتبين لنا أنه نشأ في بيت من بيوت العلم، وكان والده إمامًا وعالمًا من أئمة صنعاء وعلمائها ، وكان لذلك بالغ الأثر في حياته العلمية ، حيث درج على طلب العلم وتحصيله منذ نعومة أظفاره ، فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين وختمه على الفقيه حسن بن عبد الله الهبل، وجوده على جماعة من مشايخ القرآن بصنعاء ،ثم حفظ الكثير من المتون والمختصرات في العلوم الشرعية والعربية.

كان رحمه الله كثير الاشتغال بالمطالعة والجلوس إلى العلماء، جد في طلب العلم، وقد ذكر الإمام الشوكاني في البدر الطالع العشرات من الكتب في مختلف العلوم الشرعية والعربية والعقدية التي قرأها وسمعها على عدد كبير من علماء صنعاء ، ولا يتسع المقام لاستيفاء هذه الكتب وهؤلاء العلماء ، ولكنها في مجملها تدل على أنه كان بحرًا لم يقصر همته على نوع من العلوم فقد جمع فنون العلم المختلفة [2].

---

[1] ــ المرجع السابق ج١ ص ٤٨٢ ، ٤٨٣/ وينظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، المؤلف: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ) ، ص ١٠٧١ــ ١٠٧٢، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية ،الناشر: دار صادر، بيروت ــــ الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

[2] ــ ينظر : البدر الطالع ج٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ / أبجد العلوم ، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ==

وكانت دراسته ــ رحمه الله ــ في صنعاء اليمن ، ولم يرحل لطلب العلم لأعذار أحدها عدم الإذن من الأبوين .

كان رحمه الله كثيرًا ما يقرأ على مشايخه فإذا فرغ من قراءة كتاب أخذه عنه تلامذته بل ربما اجتمعوا على الأخذ عنه قبل أن يفرغ من قراءة الكتاب على شيخه.

وكان يبلغ دروسه في اليوم والليلة إلى نحو ثلاثة عشر درسًا، منها ما يأخذه عن مشايخه، ومنها ما يأخذه عنه تلامذته.

كما أنه فرغ نفسه لإفادة الطلبة فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة على عشرة دروس في فنون متعددة، واجتمع منها في بعض الأوقات التفسير والحديث والأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والجدل والعروض.

وكان أيضًا يفتى أهل مدينة صنعاء بل ومن وفد إليها وشيوخه إذ ذاك أحياء ، واستمر يفتى من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك ، وكان لا يأخذ على الفتيا شيئًا تنزهًا فإذا عوتب في ذلك قال أنا أخذت العلم بلا ثمن فأريد إنفاقه كذلك. ولى قضاء صنعاء وهو ما بين الثلاثين والأربعين[1].

أهم مؤلفاته : صنف العلامة الشوكاني في فنون العلم المختلفة ،حصرها العلماء في مائة وأربعة عشر مصنفا، منها المطول ومنها الموجز

==

(المتوفى: ١٣٠٧هـ) ، ص ٦٨٤،الناشر:دار ابن حزم ، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

[1] ــ البدر الطالع ج٢ ص ٢١٨ ــ ٢١٩ بإيجاز .

المختصر، ومنها المطبوع ومنها المخطوط، ومن أشهر مصنفاته : نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ثماني مجلدات، و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع مجلدان، وإتحاف الأكابر وهو ثبت مروياته عن شيوخه مرتب على حروف الهجاء، و الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، والتعقبات على الموضوعات ، والدرر البهية في المسائل الفقهية ، و فتح القدير في التفسير خمس مجلدات، و إرشاد الفحول في أصول الفقه، و السيل الجرار في نقد كتاب الأزهار جزآن .

ومن المختصرات الكثير منها على سبيل المثال لا الحصر: بغية الأريب من مغني اللبيب ، والمختصر البديع في الخلق الوسيع ، والمختصر الكافي من الجواب الشافي، وطيب النشر في جواب المسائل العشر، ودر السحابة في مناقب القرابة والصحابة، والدر النضيد في إخلاص التوحيد ،والقول المفيد في حكم التقليد ، وغير ذلك الكثير [1].

مما سبق من حياة الإمام العلمية يظهر لنا أن الإمام بدأ حياته العلمية في سن مبكر ، وأنه كان مثالًا لطالب العلم الجاد الذى لا تشغله الحياة وملهياتها عن العلم ، كما أنه جمع بين طلب العلم والتدريس في وقت واحد.

وأن المولى ــ عز وجل ــ منحه سعة التبحر فى العلوم على اختلاف أجناسها ، وسعة التلاميذ المحققين ،وسعة التأليف في مختلف العلوم ،

[1] ــ ينظر : أبجد العلوم ص ٦٨٤، ٦٨٥ / الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ، ج٦ ص ٢٨٩، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

فجمع بذلك ما رشحه إلى أن يعد من أعلام المسلمين، ومن المجددين، الذين يبعث الله على رأس كل قرن واحدًا منهم، يحفظ للأمة دينها، ويجدد روح العزة والمجد فيها[1] .

مذهبه وعقيدته:

كان مذهب الشوكاني المذهب الزيدي[2]، وقد حفظ أشهر كتب المذهب، وألف فيه كتبًا، وبرع في مسائله وأحكامه حتى أصبح قدوة، ثم طلب الحديث وفاق فيه أهل زمانه من الزيدية وغيرهم ، قال عنه العلامة حماد بن محمد الأنصاري : "أصلُه زيدي، لكنه كان صاحب علم وسياسة استطاع أن يسلك بالزيدية طريق السنة"[3] .

وترك التقليد واجتهد رأيه اجتهادًا مطلقًا غير مقيد وهو قبل الثلاثين ، ودعا إلى الاجتهاد ومعرفة الأدلة من الكتاب والسنة[4].

---

[1] ــ أبجد العلوم ص ٦٨٦ بتصرف / وينظر : فتح القدير، ج١ ص ٨.

[2] ــ الزيدية: فرقة من الشيعة ، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ويرون الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، وكان من مذهبهم جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، يقولون إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها. ينظر : الملل والنحل ، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) ، ج١ ص ١٥٤ ــ ١٥٥ ، الناشر: مؤسسة الحلبي .

[3] ــ المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله) ،المؤلف: عبد الأول بن حماد الأنصاري ، ج٢ ص ٧٥٤ ، الطبعة: الأولى .

[4] ــ البدر الطالع ج٢ ص ٤٢٢ .

ويظهر هذا الموقف الاجتهادي المتميز في رسالة سماها: «القول المفيد في حكم التقليد» وفي كتاب فقهي كبير سماه: «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» تكلم فيه عن عيون المسائل الفقهية عند الزيدية، وصحح ما هو مقيد بالأدلة، وزيف ما لم يكن عليه دليل، فقام عليه المقلدون والمتعصبون ووجهوا إليه سهام اللوم ، وثارت من أجل ذلك فتنة في صنعاء بين: من هو مقلد وبين من هو مقتد بالدليل ، واتهموه بهدم مذهب أهل البيت، ولكنه بقي ثابتًا على موقفه لا يتزحزح عنه، وألف كتابًا جمع فيه محاسن أهل البيت سماه «در السحابة في مناقب القرابة والصحابة» ، وأظهر فيه وجوب محبة أهل البيت، ولزوم موالاتهم ومودتهم مما دفع عنه تهمة التعصب حيال مذهب بعينه، وأن دعوته إلى الاجتهاد تشمل أهل المذاهب جميعًا[1].

أما عقيدة الشوكاني- رحمه الله تعالى- فكانت عقيدة السلف، من حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة الصحيحة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف، وله رسالة في بيان ذلك أسماها: «التحف بمذهب السلف» [2].

وقد دعا إلى جانب ذلك إلى نبذ كلام المتكلمين، وتطهير عقيدة التوحيد من مظاهر الشرك، وتخليص ما دخل على حياة الناس وتدينهم من البدع

---

[1] ــ أبجد العلوم ص ٦٨٥ بتصرف .

[2] ــ التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، ج٢ ص ٢١١،الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

والخرافات. ويظهر هذا جليا في كثير من كتبه، وبخاصة كتابه: «قطر الولي على حديث الولي»[1] .

كانت وفاته ــ رحمه الله ــ في شهر جمادى الآخرة في سنة خمسين بعد المائتين والألف، ودفن بصنعاء[2].

التعريف بكتابه في التفسير " فتح القدير " :

عنون الإمام الشوكاني لكتابه بـ (فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير) وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب .

وقصد الإمام من هذه التسمية الإشارة إلى أن كتابه جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي .

أهم المصادر التي اعتمد عليها هذا التفسير :

كان من أبرز العلماء الذين أخذ عنهم وورد كتبهم ونهل منها، **وأورد عنهم نصوصًا وأقوالًا في تفسيره: أبى جعفر النحاس في كتابه "معانى القرآن وإعرابه" ، والإمام ابن عطية الأندلسي في كتابه "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". وقد** صرح الإمام الشوكاني في مقدمة كتابه أنه اعتمد في تفسيره على أمهات كتب التفسير وأهمها : تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير القرطبي ، وتفسير ابن كثير، و تفسير السيوطي ، وقد أثنى على تفسير السيوطي فقال عنه : " **واعلم أن تفسير السيوطي المسمى بـ «الدر المنثور» قد اشتمل على غالب ما في تفاسير السلف**

---

[1] ــ فتح القدير ج ١ ص ٧ .

[2] ــ أبجد العلوم ص ٦٨٦.

من التفاسير المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتفاسير الصحابة ومن بعدهم، وما فاته إلا القليل النادر"[1].

أهم ملامح منهج الإمام الشوكاني في تفسيره :

١ــ تميز منهج الإمام ــ رحمه الله ــ بأنه جمع بين الرواية والدراية في التفسير، وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه فقال : **"إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين، وسلكوا طريقين: الفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية، والفريق الآخر جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأسًا، وإن جاءوا بها لم يصححوا لها أساسًا، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، واستطرد في بيان صحة منهج الفريقين ثم عقب قائلا : "وأنه لا بد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذي وطنت نفسي عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه إن شاء الله"[2].**

٢ ــ يورد ما ثبت من التفسير عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، أو الصحابة ، أو التابعين أو تابعيهم ، أو الأئمة المعتبرين .

٣ ــ يحتكم إلى اللغة والإعراب والبلاغة في بيان المعنى المراد من النص القرآني .

---

[1] ــ ينظر : فتح القدير ج١ ص ١٢ ــ ١٥بإيجاز .

[2] ــ مقدمة فتح القدير ج١ ص ١٤ .

٤ ــ الترجيح بين التفاسير المتعارضة ، مع ذكر علة الترجيح ، وفي بعض الأحيان لا يصرح بعلة اختياره، وكثيرًا ما يعقب على أقوال من سبقه من العلماء بالتصحيح أو التحسين أو التضعيف .

٥ ــ اشتمل تفسيره على جميع ما يتعلق بالتفسير من ذكر المناسبة بين الآيات وأسباب النزول والقراءات، مع اختصار ما تكرر لفظًا واتحد معنى[١] .

ما يؤخذ على الإمام الشوكاني في تفسيره :

١ ــ أنه يذكر كثيرًا من الروايات الموضوعة، أو الضعيفة، ويمر عليها دون أن ينبه عليها. وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب فقال: "وقد أذكر ما في إسناده ضعف، إما لأن في المقام ما يقويه، أو لموافقته للمعنى العربي. وقد أذكر الحديث معزوًا إلى راويه من غير بيان حال الإسناد، لأني أجده في الأصول التي نقلت عنها كذلك، كما يقع في تفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي وغيرهم، ويبعد كل البُعد أن يعلموا في الحديث ضعفًا ولا يبينوه، ولا ينبغي أن يُقال فيما أطلقوه: إنهم قد علموا ثبوته، فإن من الجائز أن ينقلوه من دون كشف عن حال الإسناد، بل هذا هو الذى يغلب به الظن، لأنهم لو كشفوا عنه فثبت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك، كما يقع منهم كثيرًا التصريح بالصحة أو الحُسن، فمَن وجد الأصول التي يروون عنها، ويعزون ما في تفاسيرهم إليها، فلينظر إلى أسانيدها موفقًا إن شاء الله" [٢].

---

[١] ــ المرجع السابق نفس الجزء ص ١٥ بتصرف .

[٢] ــ فتح القدير ج ١ ص ١٥ .

٢ ــ ذمه للتقليد والمقلِّدين ، فلا يكاد يمر بآية من القرآن تنعى على المشركين تقليدهم آباءهم إلا ويطبقها على مقلِّدي أئمة المذاهب الفقهية، ويرميهم بأنهم تاركون لكتاب الله، مُعْرِضون عن سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم. والصواب من القول في ذلك أنه لا يمنع من الاجتهاد مَن له قدرة عليه بتحصيله لأسبابه وإلمامه بشروطه ، ويمنع من الاجتهاد مَن ليس أهلا له كالعوام ، ومن لم تتحقق له شروطه من أهل العلم ، وهؤلاء لا بد لهم من التقليد[١].

[١] ــ التفسير والمفسرون ج٢ ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

المطلب الثاني

التعريف بقواعد الترجيح ، ونشأة هذا العلم

مصطلح قواعد الترجيح مركب إضافي مكون من كلمتين "قواعد" و"الترجيح " ، وسوف أعرف كل كلمة منهما على حدة ، ثم أعقب ذلك بتعريفهما معًا مركبتين تركيبًا إضافيًا.

أولًا : تعريف القواعد في اللغة : من قعد قعودًا نقيض القيام ، والقواعد جمع قاعد وهي المرأة الكبيرة المسنة، وقاعدة فاعلة من قعدت قعودًا، والقاعدة: أصل الأس، والقواعد: الإساس، وقواعد البيت إساسه. وفي التنزيل: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ)[1] ، وقوله (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ)[2] .

والقواعد: أساطين البناء التي تعمده، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركب عيدان الهودج فيها[3]. ومن المجاز: قعد عن الأمر: تركه، وقعد له: اهتمّ به.

---

[1] ــ البقرة : ١٢٧ .

[2] ــ النحل ٢٦ .

[3] ــ ينظر : لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، باب الدال ــ فصل القاف ج٣ ص ٣٦١،الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ / القاموس المحيط ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ، باب الدال ــ فصل القاف ،ص ٣١١، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، الناشر: مؤسسة ==

وقعد يشتمني: أقبل[1].

وبذلك يتبين لنا أن المدلول اللفظي لكلمة القواعد يدور حول عدة معـــانى، والذى يناسب المقام منها: الأساس الذى يبنى عليه الشيء ، وبـــه يـــدعم البناء ، وأنها تستخدم في المحسوسات والمعقولات .

القاعدة اصطلاحًا :عرفها علماء الأصول بأنها : **الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها**[2].

وقيل هي : **حكم أغلبي، يأتي تحته مسائل فرعية، يُتَعَرَّف من خلاله على أحكام تلك المسائل**[3].

==

الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنـــة، ١٤٢٦ هـــــ – ٢٠٠٥ م.

[1] ــ أساس البلاغة ، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـــ) ، ج ٢ ص ٩٠ ،

تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـــ – ١٩٩٨ م.

[2] ــ الأشباه والنظائر، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـــ)، ج١ ص ١١ ،الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولـــى ١٤١١هـــــ– ١٩٩١م .

[3] ــ مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهيـــة، المؤلـــف: أبـــو مُحمَّـــدٍ، صـالحُ بنُ مُحمَّدٍ بنِ حسنٍ آلُ عُمَيِّرٍ، الأسمريُّ، القحْطـــانيُّ ، ج ١ ص ١٩ ،اعتنـــى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكـــة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـــ – ٢٠٠٠ م .

تعريف الترجيح لغة : مصدر الفعل رَجَحَ يَرْجَحُ أي مـــال، يقـــال رجـــح الشيء بيده : رزنه ونظر ما ثقله. وأرجح الميزان أي أثقله حتـــى مـــال. وأرجحت لفلان ورجحت ترجيحًا إذا أعطيته راجحًا[1]. وبذلك يتبين لنا أن المدلول اللغوي لمادة " رجح " : الميل نحو طرف دون الأخر .

الترجيح اصطلاحًا :عرفه علماء الأصول بأكثر من تعريف ، فقد عرفـــه الإمام الجوينى بأنه: **تغليب بعض الأمارات على بعض في سبيل الظن**[2] . **وعرفه الفخر الرازي بأنه :تقوية أحد الطرفين على الآخر، فيعلم الأقوى فيعمل به، ويطرح الآخر**[3]. ولا مشاحة بين التعريفين فإنهما وإن اختلفـــت عبارتهما إلا أن بينهما معنى مشتركًا وهو الميل نحو أحد القولين والأخـــذ به لدليل يدعمه ويقويه .

---

[1] ــ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـــ) ، باب : الحاء ، فصل : الراء ،ج ١ ص٣٦٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـــ – ١٩٨٧ م/ لسان العرب ،باب الحاء ــ فصل الراء ،ج٢ ص ٤٤٥ .

[2] ــ البرهان في أصول الفقه، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بـــن محمـــد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـــــ) ، ج٢ ص ١٧٥، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـــ – ١٩٩٧ م.

[3] ــ المحصول ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمـــي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـــ) ، ج٥ ص٣٩٧، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعـــة: الثالثة، ١٤١٨ هـــ – ١٩٩٧ م.

تعريف قواعد الترجيح عند المفسرين : ضوابط وأسس أغلبية يُتَوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى[1].

وبهذا يتبين لنا : أن موضوع قواعد الترجيح : أقوال المفسرين المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى ؛وذلك لمعرفة أصحها وأولاها بالقبول.

وأن هذه القواعد تستخدم عند الاختلاف في تفسير الآية القرآنية ، أما القول المجمع عليه في التفسير فلا ترجيح فيه بل يجب قبوله والأخذ به والعمل بموجبه .

وسوف أعرج في عجالة على ذكر أنواع الاختلاف في التفسير؛ لأن هذا الاختلاف هو السبب الداعي لإعمال قواعد الترجيح .

الاختلاف سنة كونية ، فقد خلق المولى البشر مختلفين في الشكل واللغة ، ومتفاوتين في الفهم والادراك، فمن الناس من يفهم المراد من ظاهر اللفظ بداءة ، ومنهم من يحتاج إلى توضيح ، بينما البعض الأخر يستنبط من اللفظ معنى باطني لا يعيه الأخرون ، ومنهم من يفهم من اللفظ معنى غير المعنى المراد ؛ ونتيجة لذلك ظهر الاختلاف في تفسير كتاب الله ــ عز وجل ــ ، حيث ينظر كل شخص إلى الآية القرآنية من زاوية ويحكم عليها حسب نظره واجتهاده، والاختلاف الواقع في التفسير ينقسم إلى قسمين :

الأول: اختلاف التنوع.

---

[1] ــ مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ، للدكتور / حسين بن على الحربى ، ص ١١، الناشر : دار ابن الجوزي ، الطبعة : الثالثة ١٤٣٨هـ .

الثاني: اختلاف التضاد.

ويُقصد باختلاف التضاد: القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معًا، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالأخر.

أما اختلاف التنوع: هو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة، ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، ولكن العبارتين مختلفتان.

ومنه ما يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر[1].

ويرى الإمام الشاطبي أن اختلاف التنوع لا يعتد به، ولا يعد خلافًا حيث قال :"من الخلاف ما لا يعتد به وهو ضربان:

أحدهما: ما كان من الأقوال خطأ مخالفًا لمقطوع به في الشريعة .

والثاني: ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة، فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالًا مختلفة في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على

[1] ــ فصول في أصول التفسير، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ص ٨٠ ،تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.

العبارة كالمعنى الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه"[1].

والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد ،وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أربعة أقسام لاختلاف التنوع الواقع في التفسير، الأول: أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند .

ومثال ذلك في القرآن : تفسيرهم للصراط المستقيم: فقال بعضهم: هو القرآن، أي إتباعه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث علي : " هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم "[2].

وقال بعضهم: هو الإسلام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث

---

[1] ــ الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، ج٥ ص ٥١٠ ،المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

[2] ــ الحديث في سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، باب : ما جاء في فضل القرآن / رقم الحديث (٢٩٠٦) ، ج٥ ص ٢٢ ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال، تحقيق: بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

النواس بن سمعان[1]: "ضرب الله مثلا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سُورَان، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا، ولا تتعرجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم "[2]،فهذان القولان متفقان؛ لأن دين الإسلام هو إتباع

---

[1] ــ النواس بن سمعان : النواس بن سمعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة الكلابي. له صحبة ، معدود في الشاميين، روى عنه أبو إدريس الخولاني وأهل الشام .ينظر : (الثقات ، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ، ج٣ ص ٤١٣ ، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ج٤ ص ١٥٣٤ ، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م) .

[2] ــ الحديث في مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، باب : حديث النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري ، رقم الحديث : (١٧٦٣٤) ، ج٢٩ ص ١٨١ ــ ١٨٢، وقال المحقق : حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل الحسن بن سوار، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م/ ==

القرآن، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر، كما أن لفظ " صراط " يشعر بوصف ثالث، وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة. وقول من قال: هو طريق العبودية. وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأمثال ذلك، فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها.

الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثال ذلك: ما نقل في قوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}[1]. فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات، والمنتهك للمحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون هم أصحاب اليمين {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}[2]، ثم إن كلا منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت،

==

وفى المستدرك على الصحيحين للحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، باب : وأما حديث أشعث بن جابر ، رقم الحديث : (٢٤٥) ، ج١ص ١٤٤ ، وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه " ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

[1] ـ فاطر : ٣٢.

[2] ـ الواقعة : ١٠ ، ١١ .

والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، ويقول الآخر: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع. والناس في الأموال إما محسن، وإما عادل، وإما ظالم، فالسابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات. والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا، وأمثال هذه الأقاويل[1].

النوع الثالث من أنواع اختلاف التنوع : ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين؛ إما لكونه مشتركًا في اللفظ كلفظ {قَسْوَرَةٍ}[2] الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد، ولفظ {عَسْعَسَ}[3] الذي يراد به إقبال الليل وإدباره، وإما لكونه متواطئًا[4] في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين،

---

[1] ــ مقدمة في أصول التفسير، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ص ١١ ــ ١٥ بإيجاز ، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤١٠هـ/ ١٩٨٠م.

[2] ــ المدثر : ٥٠ .

[3] ــ التكوير : ١٧ .

[4] ــ التّواطؤ: بالطاء هو كون اللفظ موضوعا لأمر عام مشترك بين الأفراد على السويّة، وذلك اللفظ يسمّى متواطئا كالإنسان. ينظر : (موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، ج ١ ص ٥٢٣ ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

كالضمائر في قوله: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}[1]، وكلفظ {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}[2].

النوع الرابع : أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة؛ فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقَلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن. ومثال ذلك قوله تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا}[3]، فالمور يدل على تردُّد، ويكون بذهاب ومجيء سريع على جهة الاضطراب[4].

وللعلامة ابن عثيمين تقسيم أخر لأنواع الاختلاف فى التفسير ، مراعيًا فيه اعتبار اللفظ والمعنى ، حيث يرى أن الاختلاف الوارد في التفسير على ثلاثة أقسام:

الأول: اختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية، مثاله قوله تعالى: (وقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)[5]، قال ابن عباس: قضي: أمر، وقال مجاهد[6]: وصى، وقال الربيع بن

---

[1] النجم : ٨ ، ٩ .

[2] ــ الفجر : ١ ، ٢ ، ٣ .

[3] ــ الطور: ٩ .

[4] ــ مقدمة في أصول التفسير ص ١٧ ، ١٨ / وينظر : فصول في أصول التفسير ص ٨٠ ــ ٨٦ / التفسير والمفسرون ج١ ص ٩٨ ــ ١٠١ .

[5] ــ الإسراء : ٢٣ .

[6] ــ مجاهد : مجاهد بن جبر، ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة، وكان فقيها عالما ، توفي مجاهد بمكة ==

أنس[1]: أوجب، وهذه التفسيرات معناها واحد، أو متقارب فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية.

الثاني: اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل، لما تعنيه الآية أو التنويع، ومثاله :قوله تعالى (وَكَأْساً دِهَاقاً)[2]، قال ابن عباس: دهاقاً مملوءة، وقال مجاهد: متتابعة، وقال عكرمة[3]:صافية. ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها فتحمل عليها جميعًا ويكون كل قول لنوع من المعنى.

==

سنة ثلاث ومائة وهو ساجد . ينظر : (الطبقات الكبرى ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، ج ٥ ص ٤٦٧ ،المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

[1] ــ الربيع بن أنس : البكري البصري ثم الخراساني، محدث، مفسر، من أهل البصرة، هرب منها إلى مرو خوفا من الحجاج بن يوسف، روى عن أنس بن مالك والحسن البصري وغيرهما ، مات في خلافة أبي جعفر المنصور. ينظر: الطبقات الكبرى ج٧ ص ٣٦٩ .

[2] ــ النبأ : ٣٤ .

[3] ــ عكرمة : مولى ابن عباس أبو عبد الله الهاشمي سمع ابن عباس وأبا سعيد وعائشة روى عنه جابر بن زيد وعمرو بن دينار، قال أبو نعيم مات سنة سبع ومائة. ينظر: التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)،ج٧ ص ٤٩ ،الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

القسم الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معًا للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره.

مثال ذلك: قوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1]، قال ابن عباس: غير باغ في الميتة ولا عاد من أكله، وقيل: غير خارج على الإمام ولا عاص بسفره، والأرجح الأول؛ لأنه لا دليل في الآية على الثاني، ولأن المقصود بكل ما ذكر دفع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام، وفي حال السفر المحرم وغير ذلك[2].

[1] ــ البقرة : ١٧٣ .

[2] ــ أصول في التفسير، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، ص ٢٩ ، ٣٠ ،أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

نشأة علم قواعد الترجيح

علم قواعد الترجيح جزء لا يتجزأ من علم قواعد التفسير، وكلاهما نشأ منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن، ولكن لم يظهر هذا العلم في ذلك الوقت كعلم مستقل بنفسه، ولم يوجد كفن مدون ومستقل إلا في القرن الرابع عشر الهجري.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح لصحابته الكرام ما خفى وغمض عليهم من ألفاظ القرآن ومعانيه ، وكان ذلك وفق قواعد وضوابط . فالنبي – صلى الله عليه وسلم – هو أول من اهتم بهذه القواعد من حيث التطبيق العملي، واستعملها في تفسيره لبعض الآيات، وصحح فهم الصحابة بناءً عليها ، يدل على ذلك ما ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " لما نزلت {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[1] ، قلنا: يا رسول الله! أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون: {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} بشرك، أَوَلم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: {يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}"[2،3]. **فقد استعمل**

---

[1] ــ الأنعام : ٨٢ .

[2] ــ لقمان : ١٣ .

[3] ــ الحيث في صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب : التفسير ، باب : (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ، رقم الحديث : ٤٧٧٦ ، ج ٦ ص ١١٤ ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصرالناشر: دار طوق النجاة ،(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة مهمة من قواعد التفسير وأرشدنا لاعتبارها ألا وهى قاعدة تفسير القرآن بالقرآن، ورجح بين القولين بناءً عليها ،ولم ينص صلى الله عليه وسلم على هذه القاعدة ولا إلى ذلك العلم الجليل الذى يتوقف عليه تفسير كتاب الله ــ عز وجل ــ تفسيرًا صحيحًا، وإنما كان يروى منه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما كان يتعرض لتفسيره.

وفي عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وهم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، كان لديهم سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المبينة عن الله تعالى ما أراد، ولهم من سليقتهم العربية ومعرفتهم لأسباب النزول وطبيعة الحال التي نزل فيها الوحي، وإدراكهم لأسرار القرآن الكريم، ما أغناهم عن وضع قواعد لتفسير القرآن الكريم.

وقد حمل إلينا تاريخهم المضيء نماذج من الفهم للقرآن الكريم ،كانت الأساس الثاني بعد المنهج النبوي، لقواعد وضوابط التفسير وأصوله، التي وضعت فيما بعد.

وقد اهتم الصحابة رضوان الله عنهم بهذه القواعد التفسيرية واستخدموها في تفاسيرهم وإن لم ينصوا عليها ،ثم مضى عصر الصحابة وجاء عهد تلامذتهم من التابعين الذين أخذوا علم الكتاب والسنة عنهم، وكل طبقة من هؤلاء التابعين تخرجت على يد من كان عندها من الصحابة، وتطور الزمن، واتسع الفتح الإسلامي، واختلط العرب بغيرهم من الأمم الداخلة في دين الله تعالى أفواجًا، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فلم تعد اللغة العربية سليقة لكثير من المسلمين وخاصة سكان الحضر، فكان ذلك وغيره من الأسباب مدعاة للتدوين.

ثم مضى عهد التابعين وتابعيهم، ومع كل جيل تتسع آفاق المعرفة، خاصة وأنهم كانوا قد تفرقوا في الأمصار المفتوحة.

وفي أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين كانت الخطوات الأولى للتصنيف والتدوين، حيث دونت السنة النبوية وهي تضم بين جنباتها تفسير القرآن الكريم، ومناهج تفسيره، ثم سرعان ما اتجه العلماء إلى فصل العلوم بعضها عن بعض.

فأصبح للحديث علماؤه ومصنفاته، وللتفسير علماؤه ومصنفاته، وللقراءات علماؤها ومصنفاتها ، ثم أخذ العلماء يضعون لكل هذه العلوم تفصيلات تكون قواعد وضوابط وأصولًا لإدراك تلك العلوم.

وليس من السهل معرفة أول من دوّن قواعد علم التفسير وضوابطه وأصوله، ولكن بالتأكيد أن هذه العلوم والقواعد والأصول كانت حصيلة بحوث طويلة ودراسات كبيرة قام بها علماؤنا الأفذاذ من عهد حركة التدوين.

ويمكن القول بأن كتاب الرسالة للإمام الشافعي يعتبر أول إخراج علمي في علم أصول الفقه وقواعد التفسير وكان ذلك في القرن الثاني الهجري[1].

وبعد ذلك اتسع نطاق التدوين لعلم قواعد التفسير لكن في ثنايا كتب التفسير والأصول واللغة كـ

" تأويل مشكل القرآن " لابن قتيبة ، وجامع البيان لابن جرير الطبري ، وأحكام القرآن للطحاوي، والصاحبي لابن فارس ، وفى القرنين السابع

[1] ــ أصول التفسير وقواعده ص ٣٢ــ ٣٥ بإيجاز.

والثامن ظهرت مؤلفات جديدة حافلة بالقواعد كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والبحر المحيط لأبى حيان ، والبحر المحيط في أصول الفقه ، والمنثور في قواعد الفقه ، وكان الحديث عن قواعد التفسير مبثوثًا ضمن هذه المؤلفات، وظل الأمر كذلك حتى بداية القرن الرابع عشر حيث استقل هذا العلم عن هذه المؤلفات وظهرت كتب في القواعد النظرية لعلم التفسير[1].

أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : " القواعد الحسان في تفسير القرآن" للعلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي، وأصول التفسير وقواعده للدكتور خالد بن عبد الرحمن العك ، و "قواعد الترجيح عند المفسرين " للدكتور حسين الحربي.

ويعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات الحديثة في علم الترجيح، حيث ذكر القواعد مقسمة ، وذكر ما يندرج تحت كل قسم ما يتعلق به من قواعد ، مع ذكر نص القاعدة وشرحها ، ثم يتبع ذلك بذكر أمثلة تطبيقية على القاعدة بذكر أقوال المفسرين في الآية القرآنية واختيارهم القول الراجح بناءً على استخدامهم للقاعدة .

وسأذكر أقسام هذه القواعد على وجه الإجمال وهى :

١- قواعد ترجيحية متعلقة بالنص القرآني.

٢- قواعد ترجيحية متعلقة بالسنة والأثر

---

[1] ــ قواعد التفسير جمعا ودراسة ، المؤلف : خالد بن عثمان السبت ،ج١ ص ٤٢، ٤٣ بإيجاز، الناشر : دار ابن عفان ، الطبعة : الأولى ١٤٢١ ه.

٣- قواعد ترجيحية متعلقة باللغة.

ويندرج تحت كل نوع من هذه الأنواع الرئيسية قواعد ترجيحية كثيرة:

أولا: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص:

ويندرج تحت هذه القواعد ما يلي:

١ – القواعد الترجيحية المتعلقة بالنسخ.

٢ – القواعد الترجيحية المتعلقة بالقراءات.

٣ – الترجيح برسم المصحف.

٤ – الترجيح بالحقيقة والمجاز.

٥ – الترجيح بالسياق القرآني.

٦ – الترجيح بالمعاني الشرعية.

٧ – الترجيح بالأغلب من طريقة القرآن وعاداته.

٨ – الترجيح بظاهر القرآن.

٢ ــ قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والأثر:

ويندرج تحت هذه القواعد ما يلي:

١ – الترجيح بدلالة الحديث النبوي.

٢ – الترجيح بتفسير وقول الصحابي.

٣ – الترجيح بالإجماع.

٤ – الترجيح بأسباب النزول.

ثالثاً: قواعد الترجيح المتعلقة باللغة، ومنها:

١ – الترجيح بالتقديم والتأخير.

٢ – الترجيح بالأغلب من لغة العرب.

٣ – الترجيح بالعموم في القرآن.

٤ – الترجيح بالتأسيس والتأكيد.

٥ – الترجيح بعودة الضمير إلى أقرب مذكور.

٦ – الترجيح بتوافق الضمائر.

٧ – الترجيح بالتقدير وعدمه.

٨ – الترجيح بناءً على التصريف.

٩ – الترجيح بناءً على الناحية البلاغية .

١٠ ــ الترجيح بناءً على الأوجه الإعرابية المشهورة والقوية دون الضعيفة والشاذة [١].

[١] ــ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين بن على الحربى .

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لترجيحات الإمام الشوكاني في سورة الفرقان

تمهيد

التعريف بسورة الفرقان

اسم السورة الكريمة : سميت السورة الكريمة بسورة " الفرقان " لافتتاحها بالثناء على الله ــ عزّ وجلّ ــ الذي نزل الفرقان على نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فإن الكتاب ما نزل إلا للتفرقة بين الملتبسات، وتمييز الحق من الباطل[1].

قال الإمام ابن عاشور : "ووجه تسميتها «سورة الفرقان» لوقوع لفظ الفرقان فيها ثلاث مرات في أولها ووسطها وآخرها"[2]. ولعل الإمام يقصد

---

[1] ــ ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، بصيرة في : تبارك الذى نزل الفرقان ج١ ص ٣٤٠ ،المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م / مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ،ج٢ ص ٣١٧ ، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.

[2] ــ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ج١٨ ص ٣١٣ ،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

وقوع الإنذار بالقرآن فيها ثلاث مرات ؛ وذلك لأن لفظ الفرقان لم يرد في السورة صراحة إلا في مطلعها، وورد الإنذار بالقرآن ــ الذى هو فرقان ــ في وسط السورة وآخرها ، ولم يثبت للسورة اسم غير هذا .

مكية السورة ومدنيتها : السورة الكريمة مكية في قول الجمهور[1] ، وقد نقل الإمام ابن الجوزي والإمام الزمخشري والإمام القرطبي عن ابن عباس وقتادة[2] أنهما قالا : إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى:

---

[1] ــ معالم التنزيل في تفسير القرآن ،المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـــ)، ج٣ ص ٤٣٤ ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،ج٤ ص١٩٩ ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ / البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ج٨ ص ٧٩،المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)،ج٩ ص٤٢٠، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

[2] ــ قتادة بن دعامة السدوسي، وكان يكنى أبا الخطاب. وكان ثقة مأمونا حجة في الحديث. ينظر: الطبقات الكبرى ج٧ ص ١٧١.

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) إلى قوله تعالى: (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الآيات ٦٨، ٦٩، ٧٠[١].

ونقل الإمام ابن عطية عن الضحاك[٢] أنها مدنية وفيها آيات مكية وهي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ)[الفرقان: ٦٨] الآيات[٣].

وهذا القول بعيد فإن موضوع السورة وأسلوبها شاهد بمكيتها . وما نقل عن ابن عباس باستثناء ثلاث آيات منها فقد ثبت عن ابن عباس في صحيح البخاري أنه قال أن هذه الآيات في المشركين وقد نزلت بمكة ،

---

[١] ــ ينظر : زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،ج٣ ص٣١١ ،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ / الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ج٣ ص ٢٦٢ ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ/ الجامع لأحكام القرآن ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ج١٣ ص ١ ،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

[٢] ــ الضحاك بن مزاحم الهلالي، يكنى أبا القاسم ، لم يلق ابن عباس ، لقى سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير، توفى عام خمس ومائة . ينظر: الطبقات الكبرى ج٦ ص ٣٠٢ .

[٣] ــ المحرر الوجيز ج٤ ص ١٩٩ .

فقد روى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ[1]، أنه قَالَ: أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى[2]، أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنْ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا}[3]، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ»، وَعَنْ: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}[4]، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ»[5].

وفى صحيح مسلم التصريح بمكية الآيات ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ:" قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: «هَذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا

---

[1] ــ سعيد بن جبير: تابعي جليل ، ويكنى أبا عبد الله مولى لبني والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة، أخذ عن ابن عباس وعبدالله بن عمر، قتله الحجاج عام أربع وتسعون . ينظر : الطبقات الكبرى ج٦ ص ٢٦٧ .

[2] ــ عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي: مولى نافع بن عبد الحارث، سكن الكوفة، واستعمله علي رضي الله عنه على خراسان، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر روايته عن عمر، وأبي بن كعب رضي الله عنهما. ينظر : : أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ، ج٣ ص ٤١٣، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ،١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

[3] ــ النساء : ٩٣.

[4] ــ الفرقان :٦٨.

[5] ــ صحيح البخاري ، كتاب: التفسير ، باب: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٧٠]، رقم الحديث ٤٧٦٦، ج٦ ص ١١٠.

آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ»: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا}"[1]، وفي ذلك دلالة واضحة على مكية السورة بلا استثناء آيات منها [2].

والسورة الكريمة هي الثانية والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر [3].

عدد آيات السورة الكريمة : سبع وسبعون باتفاق أهل العدد[4].

مناسبات السورة الكريمة :

أولا: مناسبة السورة لما قبلها : تظهر مناسبة سورة الفرقان لسورة النور في أكثر من وجه أهمها : ١ ــ أن ما جاء مختصرا موجزا في النور ، ذكر بشيء من التفصيل في سورة الفرقان ، فقد ختمت سورة النور بقوله: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[5]، وكانت جملة النور مختصرة، ثم فصلت

---

[1] ــ صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، كتاب التفسير ، رقم الحديث ٣٠٢٣، ج ٤ ص ٢٣١٨ ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

[2] ــ ينظر : مصاعد النظر في مقاصد السور ج٢ ص ٣١٧ ، ٣١٨.

[3] ــ التحرير والتنوير ج ١٨ ص ٣١٤ .

[4] ــ البيان في عدّ آي القرآن ، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) ، ص ١٩٤ ،
المحقق: غانم قدوري الحمد ،الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م/ ينظر :
بصائر ذوى التمييز، بصيرة في تبارك الذى نزل الفرقان ، ج١ ص ٣٤٠ / روح المعاني ج ٩ ص ٤٢٠.

[5] ــ النور : ٦٤ .

هذه الجملة في سورة الفرقان فافتتحت بقوله: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ} إلى قوله: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[1].

٢ ــ أن المولى ــ عز وجل ــ ذكر في نهاية النور وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه، وحذر من يخالف أمره ، وذكر أن له ملك السموات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك، فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار ناسب ذلك أن يفتتح سورة الفرقان بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير، ومن خيره أنه نزل الفرقان على رسوله منذرًا لهم فكان في ذلك اطماع في خيره وتحذير من عقابه [2].

٣ ــ تضمنت سورة النور القول في الإلهيات، وأبانت ثلاثة أنواع من دلائل التوحيد: أحوال السماء والأرض، والآثار العلوية من إنزال المطر وكيفية تكون الثلج والبرد، وأحوال الحيوانات، وذكر في الفرقان جملة من المخلوقات الدالة على توحيد الله، كمدّ الظل، والليل والنهار، والرياح والماء، والأنعام، والأناسي، ومرج البحرين، وخلق الإنسان والنسب والصهر، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، والاستواء على العرش،

---

[1] ــ أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، ص ١١٣ ، ١١٤ بتصرف،
الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع .

[2] ــ البحر المحيط ج ٨ ص ٧٩ / ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ج١٣ ص٣٢٩ ، ٣٣٠،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة/ روح المعاني ج٩ ص ٤٢٠ .

وبروج السماء، والسراج والقمر ونحو ذلك مما هو تفصيل لقوله سبحانه: الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فقال في النور: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ يُزْجِي سَحاباً)[1] ، وقال في الفرقان:(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً)[2]، وقال في النور: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ)[3]، وقال في الفرقان: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً، فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً)[4] .

٤ ــ في كلتا السورتين وصف أعمال الكافرين والمنافقين يوم القيامة وأنها تكون مهدرة باطلة، فقال في النور: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ)[5]، وقال في الفرقان: (وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً)[6] ، [7].

---

[1] ــ النور : ٤٣ .

[2] ــ الفرقان : ٤٨ .

[3] ــ الفرقان : ٤٥ .

[4] ــ الفرقان : ٥٤ .

[5] ــ النور : ٣٩ .

[6] ــ الفرقان : ٢٣ .

[7] ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ج١٩ ص٥،٦ ،الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ.

ثانيا : مناسبة السورة لما بعدها :

أشار المولى تبارك وتعالى فى سورة الفرقان إلى من كذب من أهل القرون الماضية وإهلاكهم ، ثم أوضح هذه الإشارة في السورة التي تليها –وهي الشعراء– بالبسط التام، والتفصيل البالغ [1].

ثالثا : مناسبة مطلع السورة لخاتمتها :

١ ــ بدأت سورة الفرقان بـ {تَبَارَكَ}، وختمت بذلك في المقطع الأخير من السورة في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)[2] [3].

٢ ــ انطبق آخر السورة على أولها بالإنذار بالفرقان، لمن أنكر حقيقة الرحمن ، حيث بدئت السورة الكريمة بقوله (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) وختمت أيضا بالحديث عن الإنذار في قوله (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) [4].

---

[1] ــ أسرار ترتيب القرآن ص ١١٤ .

[2] ــ الفرقان : ٦١.

[3] ــ ينظر : مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، ص ٥٧قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

[4] ــ ينظر : نظم الدرر ج١٣ ص ٤٣٩ .

أهم ما اشتملت عليه السورة الكريمة :

سورة الفرقان من القرآن المكي ، وقد اشتملت الحديث عن أهم قضايا القرآن المكي ، وهى الحديث عن التوحيد ، والنبوة ، وأحوال القيامة ، وقد تخلل ذلك الحديث عن أحوال المكذبين من الأمم الماضية وبيان جزاءهم ، والحديث عن صفات المؤمنين وبيان جزاءهم .

فقد افتتحت السورة بإثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه صلى الله عليه وسلم، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، ومع ذلك تلقى قومه دعوته بالتكذيب.

ثم بعد ذلك تناولت السورة الحديث عن إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتباع أئمة كفرهم.

ثم بعد ذلك تناولت السورة إثبات الوحدانية بذكر دلائل قدرة الله المطلقة وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى. وقد افتتح المولى عز وجل آيات كل قضية من هذه القضايا الثلاث بلفظ (تبارك) [1].

---

[1] ــ ينظر : مفاتيح الغيب ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج٢٤ ، ص ٤٢٨ ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ /التحرير والتنوير ج١٨ ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

المطلب الأول

ما رجحه الإمام الشوكاني مع ذكر قاعدة الترجيح

إن تفسير القرآن منه ما يكون من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، ومنه ما يكون من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ؛ ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول عليه ويرجع في تفسيره إليه ، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك مما لا يدخل تحته الوهم ، ويدق عنه الفهم ، وفى هذا الأمر تتفاوت الأذهان ، فمن سابق فهمه ، وآخر متخبط خبط عشواء[1].

ولذلك فعلى المفسر أن يكون يقظًا فطنًا عليمًا بقانون الترجيح ، حتى إذا ما كانت الآية محتملة لأكثر من وجه أمكنه أن يرجح ويختار[2].

وقد تميز الإمام الشوكاني بأنه لم يكن مجرد ناقل لأقوال المفسرين في آيات الذكر الحكيم ، بل كان دائمًا يدقق في هذه الأقوال ويوازن بينها ويختار ما يراه صحيحًا، معتمدًا في ذلك على القواعد التي وضعها العلماء لتفسير القرآن والترجيح بين أقوال المفسرين، وهو ما يعرف بقواعد الترجيح .

---

[1] ــ البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، ج١ ص ١٥، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

[2] ــ أصول التفسير وقواعده ص ٨٢ .

وكان رحمه الله في أحيان كثيرة يختار ما يراه صحيحًا من الأقوال الواردة في تفسير الآية ويصرح بذكر القاعدة التي اعتمد عليها في الترجيح ، وهو ما سأتعرض له بالدراسة في هذا المطلب ، وفى أحيان أخرى يوازن بين أقوال المفسرين في الآية ويختار ما يراه صحيحًا دون ذكر للقاعدة التي اعتمد عليها في الترجيح ، وهو ما سأتعرض له بالدراسة في المطلب الثاني من هذا المبحث .

وفى هذا المطلب سأتتبع ترجيحات الإمام الشوكاني في آيات السورة الكريمة ، وأشرح القاعدة التي صرح بها ، وأتبع ذلك بذكر أقوال المفسرين فيها ، مبينة مدى اتفاقه مع المفسرين أو مخالفته لهم .

الموضع الأول : قوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان:١.

اختيار الإمام الشوكاني : اختلف المفسرون في المراد بالنذير في قوله تعالى :(لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)، وذكر الإمام الشوكاني هذه الأقوال عند تفسيره للآية الكريمة واختار ما يراه صوابًا فقال : "والنذير: المنذر، أي: ليكون محمد منذرًا، أو ليكون إنزال القرآن منذرًا، ويجوز أن يكون النذير هنا بمعنى المصدر للمبالغة ، أي: ليكون إنزاله إنذارًا، وجعل الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم أولى؛ لأن صدور الإنذار منه حقيقة ومن القرآن مجاز، والحمل على الحقيقة أولى ولكونه أقرب مذكور"[1].

[1] ــ فتح القدير ج ٤ ص ٧١ .

القاعدة التي اعتمد عليها الإمام الشوكاني في اختيار القول الراجح :

استند الإمام الشوكاني في اختيار القول الراجح في معنى الآية إلى قاعدتين من قواعد الترجيح ، وهما قاعدة القول بالحقيقة مقدم على القول بالمجاز، وقاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور ، وصرح بهما عند تفسيره للآية الكريمة .

بيان القاعدة الأولى :

" يجب حمل كلام الله تعالى على الحقيقة " وهى من قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب .

شرح وبيان القاعدة : الأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة ، ولا يجوز العدول عنها وله فيها محمل صحيح ، فيجب حمل نصوص الوحى وتفسيرها على حقائقها [1].

فإذا تنازع المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى ، فمنهم من يحمل ألفاظها على حقائقها ، ومنهم من يدعي عليها المجاز ويحملها على معانى مخالفة لما تدل عليه حقائقها ، فقول من حملها على حقائقها هو الصواب ، والذى يجب أن يعتمد ويصار إليه .

ومن ادعى صرف شيء من ألفاظ القرآن عن حقيقته إلى مجازه لم يتم له ذلك إلا بعد أربع مقدمات : أحدها : بيان امتناع إرادة الحقيقة ، وصحة ذلك .

---

[1] ــ ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، ج ٣ ص ٧ ،الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الثاني : بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه وإلا كان مفتريا على اللغة .

الثالث : الجواب عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة .

الرابع : أن تكون القرينة تصلح لنقلها عن حقيقتها إلى مجازها [1].

أقوال المفسرين في الآية :

اختلف المفسرون في المراد بالنذير في قوله تعالى:(لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) إلى ثلاثة أقوال :

الأول : النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم ، أي : منذرًا ومخوفا لهم من عقاب الله ، ويعضده قوله: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ}[2] ،وقوله {لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ}[3] ، وهو قول الجمهور[4].

---

[1] ــ مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٥١ ، ١٥٢ .

[2] ــ فاطر : ٢٤ .

[3] ــ الأنعام : ١٩ .

٣ــ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، ج٨ ص ٥١٧٣ ، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

الثـــاني : النذير هو الفرقان ، ويعضـــده قـــراءة ابـــن الزبيـــر[1] «علـــى عباده»[2]*، وقال الإمام ابن عطية : "و على قراءة ابن الزبير فهو لـــــ الْفُرْقانَ لا يحتمل غير ذلك"[3] .

ووجه الاستشهاد بهذه القراءة أنه وإن كان إنزاله على رسول الله "صـــلى الله عليه وسلم" فإنه لما كان "عليه السلام" موصلًا له إلى العباد ومخاطبًا به لهم صار كأنه منزل عليهم؛ ولذلك كثر فيه خطاب العباد بالأمر والنهـــي لهم، والترغيب والترهيب ، ونحو ذلك مما يوجه فيه الخطاب نحوهم[4].

---

[1] ــ ابن الزبير: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العـــزى بـــن قصي القرشي الأسدي، وهو أول مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينـــة، وبويـــع لعبد الله بن الزبير بالخلافة سنة أربع وستين، وقتل رحمه الله في أيام عبد الملك يـــوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى. وقيل جمادى الآخرة، ســـنة ثـــلاث وسبعين .ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٩٠٥ ــ ٩٠٧ بإيجاز .

٥ــ الكشاف ج٣ ص ٢٦٢ .

*هذه القراءة شاذة لأنها لم يتوافر فيها ركن التواتر. ينظر: مختصر في شواذ القـــرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، ص ١٠٦، الناشر : مكتبة المتنبي ــ القاهرة / إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري المتوفى (٦١٦هـــ ــ ١٢١٩م) ، ج٢ ص ١٩٤، دراسة وتحقيق : محمد السيد أحمد عزوز، الناشر: عالم الكتـــب ، الطبعـــة الأولـــى ١٤١٧هـــ ــ ١٩٩٦م. .

[3] ــ المحرر الوجيز ج٤ ص ١٩٩.

[4] ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبـــو الفـــتح عثمان بن جني الموصلي (المتـــوفى: ٣٩٢هـــ)، ج ٢ ص ١١٧ ،الناشـــر: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـــ– ١٩٩٩م.

الثالث : النذير هو الله تبارك وتعالى[1] .

استبعد الفخر الرازي عود الضمير إلى القرآن ورجح عوده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مصرحًا بالقاعدة التي بنى عليها اختياره فقال : "وقوله: ليكون للعالمين نذيرًا فالمراد ليكون هذا العبد نذيرًا للعالمين، وقول من قال: إنه راجع إلى الفرقان فأضاف الإنذار إليه كما أضاف الهداية إليه في قوله: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)[2] فبعيد ؛ وذلك لأن المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف، وإذا وصف به القرآن فهو مجاز، وحمل الكلام على الحقيقة إذا أمكن هو الواجب"[3].

واختاره أيضًا الإمام أبو حيان فقال : "والضمير في ليكون عائد على عبده، ويترجح بأنه العمدة المسند إليه الفعل"[4].

وقال العلامة الألوسي : "وضمير يكون عائد على عبده، وقيل على الْفُرْقَانَ وإسناد الإنذار إليه مجاز، وقيل على الموصول الذي هو عبارة عنه تعالى، ورجح بأنه العمدة المسند إليه الفعل والإنذار من صفاته ــ عز وجل ــ كما في قوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)[5]، وقيل على التنزيل المفهوم من نَزَّلَ، والمتبادر إلى الفهم هو الأول وهو الذي يقتضيه ما بعد"[6] .

---

[1] ــ بحر العلوم ،المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، ج ٢ ص ٥٢٨ ، لا يوجد طبعة .

[2] ــ الإسراء : ٩ .

[3] ــ مفاتيح الغيب ج٢٤ ، ص ٤٢٩ .

[4] ــ البحر المحيط ج٨ ص ٨٠ .

[5] ــ الدخان : ٣ .

[6] ــ روح المعاني ج ٩ ص ٤٢٢ .

وبذلك يتبين لنا أن الراجح عند المفسرين القول القائل بأن النذير هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

القاعدة الثانية : الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه ، وهى من قواعد الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير ، فهذه القاعدة تقرر أن الأصل في العربية أن يرجع الضمير إلى أقرب مذكور ، فإذا اختلف العلماء في عائد أحد الضمائر في القرآن ، فأرجح الأقوال في هذا الخلاف القول الذى يعيد الضمير إلى أقرب مذكور، فإعادته إلى القريب أولى من إعادته إلى البعيد ما لم يرد دليل يوجب مخالفة الأصل بإعادة الضمير إلى البعيد[1] .

أقوال المفسرين في الآية :

من المفسرين الذين استندوا إلى هذه القاعدة في اختيار القول الراجح في هذا الموضع الإمام القرطبي حيث قال عند تفسيره للآية الكريمة :" (ليكون للعالمين نذيرا) اسم" يكون" مضمر يعود على" عبده" وهو أولى لأنه أقرب إليه"[2].

وقال السمين الحلبى عند تفسيره للآية الكريمة: "{لِيَكُونَ} : اللامُ متعلقةٌ بـ «نَزَّل» . وفي اسم «يكون» ثلاثةُ أوجهٍ، أحدُها: أنه ضميرٌ يعودُ على الذي نزَّل. أي: ليكونَ الذي نَزَّل الفرقانَ نذيراً. الثاني: أنه يعودُ على الفرقانِ وهو القرآنُ. أي: ليكون الفرقانُ نذيرًا. الثالث: أنه يعودُ على «عبدِه» أي: ليكونَ عبدُه محمد صلَّى الله عليه وسلَّم نذيرًا. وهذا أحسنُ

---

[1] ــ ينظر : أصول في التفسير ص ٥٧ ، مختصر في قواعد التفسير ص ٢٣٢ .

[2] ــ الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٢.

الوجوهِ معنىً وصناعةً لقُرْبِه ممَّا يعودُ عليه، والضميرُ يعودُ على أقـــربِ مذكورٍ"[1].

مما سبق يتبين لنا أن الإمام الشوكاني رجح المراد بالنذير، واختار القول القائل أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه استند في ترجيحه إلى قاعدتين من قواعد الترجيح ، وصرح بهما ، وعلى هـــذا فقـــد تنازعـــت قاعدتان على الآية الواحدة ، وجاء ترجيحه موافق لما اختاره المفسرون .

الموضع الثاني : قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّـــا إِنَّهُـــمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) الفرقان : ٢٠.

اختيار الإمام الشوكاني :

ذكر الإمام الشوكاني في المراد بقوله (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) ثلاثـــة أقوال :

الأول : أن هذا الخطاب عام للناس، وقد جعل سبحانه بعض عبيده فتنـــة لبعض فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير .

الثاني: المراد بالبعض الأول: كفار الأمم، وبالبعض الثاني: الرســـل، ثـــم عقب على هذا القول قائلا :"والأول أولى، فإن البعض من الناس ممـــتحن بالبعض مبتلى به فالمريض يقول لما لم أجعل كالصـــحيح؟ وكـــذا كـــل

[1] ـــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتـــوفى: ٧٥٦هـــ)، ج ٨ ص ٤٥٣ ،المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ،الناشر: دار القلم، دمشق .

صاحب آفة، والصحيح مبتلى بالمريض فلا يضجر منه ولا يحقره، والغني مبتلى بالفقير يواسيه، والفقير مبتلى بالغني يحسده، ونحو هذا مثله" .

الثالث: المراد بالآية أنه كان إذا أراد الشريف أن يسلم، ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال لا أسلم بعده. فيكون له علي السابقة والفضل، فيقيم على كفره، ذلك افتتان بعضهم لبعض ، ثم عقب على ذلك قائلا :" ولا وجه لقصر الآية على هذا، فإن هؤلاء إن كانوا سبب النزول، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[1].

بيان القاعدة التي اعتمد عليها الإمام الشوكاني في اختيار المعنى الراجح:

اختار الإمام الشوكاني حمل المراد بالفتنة في الآية على القول بالعموم في كل ما يكون سببا لافتتان الناس بعضهم ببعض ، واعتمد في اختياره على قاعدة من قواعد الترجيح صرح بها وهى : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهى من قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب.

شرح وبيان القاعدة :

إذا ورد لفظ العموم على سبب خاص لم يسقط عمومه ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص الأسباب ، فالنصوص العامة الواردة على أسباب خاصة تكون أحكامها عامة وهذا هو الحق.

وقد دل الوحى واللغة على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، أما دليل الوحى : فقد سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفتى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذلك أن الأنصاري الذي قبل

[1] ــ فتح القدير ج٤ ص ٨٠ .

الأجنبية ونزلت فيه: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)[1] الآية. قال للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أَلِي هذا وحدي يا رسول الله ؟، ومعنى ذلك هل حكم هذه الآية يختص بي لأني سبب نزولها؟ فأفتاه النبي صلى الله عليه وسلم بأن العبرة بعموم لفظ: ((إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)) لا بخصوص السبب حيث قال له: (لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي)[2].

وأما اللغة فإن الرجل لو قالت له زوجته: طلقني فطلق جميع نسائه لا يختص الطلاق بالطالبة التي هي السبب[3].

فإذا صح للآية سبب نزول ، وجاءت ألفاظها أعم من سبب نزولها ، واختلف العلماء فيها ، فمنهم من جعلها قاصرة على سبب النزول ، ومنهم من حملها على عموم ألفاظها ، فالحق هو قول من حملها على عموم ألفاظها ولم يقصرها على سبب نزولها ، ما لم يدل دليل على تخصيص عموم اللفظ[4] .

---

[1] ــ هود : ١١٤ .

[2] ــ الحديث أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب : التفسير، باب: قوله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) ، رقم الحديث ٤٦٨٧، ج٦ ص ٧٥ .

[3] ــ ينظر : مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ص ٢٥٠ ــ ٢٥٢بإيجاز ،الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م .

[4] ــ مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ٢٠٥.

وقد أشار الشيخ عبدالرحمن السعدى إلى أهمية هذه القاعدة فقال :"وهـذه القاعدة نافعة جدًا، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك الخطير.

وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، فمتى راعيت القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورةً عليها، فقولهم: نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، فإن القرآن، إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها، حيث تكون وأنى تكون"[1].

أقوال المفسرين في الآية : ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت حين أسلم أبو ذر الغفاري وعمار وصهيب وبلال وعامر بن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة وأمثالهم من الفقراء الموالي، فقال المستهزئون من قريش: انظروا إلى أتباع محمد من فقرائنا وموالينا فنزلت فيهم الآية [2].

---

[1] ــ القواعد الحسان لتفسير القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، ص ١١،الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

[2] ــ ينظر : معانى القرآن ،المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، ج٢ ص ٢٦٥ ، المحقق: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار ، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،

الطبعة: الأولى / معانى القرآن وإعرابه ،المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)،ج٤ ص ٦٢ ،

==

أي أن كبراء قريش أعرضوا عن الاسلام كي لا يكون لمواليهم السابقة عليهم ، فيكون بذلك افتتان بعضهم ببعض.

واختار الفخر الرازي حمل الآية على العموم فقال : "والأولى حمل الآية على الكل؛ لأن بين الجميع قدرًا مشتركًا"[1].

واختاره أيضا الإمام ابن جزي حيث قال عند تفسيره للآية :"(وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به"[2].

وقال الامام الألوسي : "الأظهر القول بالعموم ، ولا يضر فيه خصوص سبب النزول"[3] .

ويرى الإمام أبو السعود أن الخطاب في الآية ليس لعموم الناس بل عام في جميع الرسل وأممهم، والمعنى كما قال: "جعلنا كل بعض معين من

==

المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م / النكت والعيون للماوردي ج٤ ص ١٣٨ / مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٢٤ ص ٤٤٦.

[1] ــ المرجع الأخير نفس الجزء والصفحة / ينظر : البحر المحيط ج٨ ص ٥٩ .

[2] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ،المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، ج٢ ص ٨١،المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

[3] ــ روح المعاني ج٩ص ٤٤٤.

الأمم فتنة لبعض معين من الرسل ،كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الأمم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث إليها، وإنما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال ، وأما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وإبقاء البعضين على العموم والإبهام على معنى وجعلنا بعضكم أيها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى (أتصبرون) فإنه غاية للجعل المذكور، ومن البين أن ليس ابتلاء كل أحد من آحاد الناس مغيًا بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الاقتصار على ذكره من غير تعرض لمعادل له مما يدل على أن اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير، فلابد أن يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته صلى الله عليه وسلم، فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم وبمناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم وأقاويلهم الخارجة عن حدود الإنصاف لنعم صبركم" [1].

وبذلك يظهر لنا أن الامام أبا السعود استبعد القول بالعموم في الناس جميعًا وخصها بعموم الرسل وأممهم ، واحتج لقوله بأن الله جعل غاية الفتنة الصبر في قوله (أتصبرون)؛ وذلك لأنه ليس كل الناس يصبر على الفتن بل هم متفاوتون في ذلك ، ولهذا يجب حملها على الرسل؛ لأنهم هم أهل للصبر . وترى الباحثة ــ والله أعلم ــ أن هذا الكلام غير مسلم به لعدة أسباب :

[1] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، ج٦ ص ٢١٠ ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الأول : أن القول بالعموم يدخل فيه الأنبياء وأممهم ، ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام ابن عاشور عند تفسيره للآية حيث قال : "فضمير الخطاب في قوله: بعضكم يعم جميع الناس بقرينة السياق، وكلا البعضين مبهم يبينه المقام، وحال الفتنة في كلا البعضين مختلف، فبعضها فتنة في العقيدة، وبعضها فتنة في الأمن، وبعضها فتنة في الأبدان. وشمل أحد البعضين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه، والبعض الآخر المشركين "[1].

الثاني : أما قوله أن(أتصبرون) دليل على أن الخطاب للرسل فهو تخصيص بلا مخصص ؛ وذلك لأن قوله(أتصبرون) فيه وجهان : الأول (أَتَصْبِرُونَ)اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، يعني: اصبروا كقوله:(أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ)[2]، يعني: توبوا إلى الله[3]. والأمر بالصبر يشمل الأنبياء وغيرهم .

الوجه الثاني : قال الإمام القرطبي :" أتصبرون" محذوف الجواب، يعني أم لا تصبرون. فيقتضي جوابا" [4].

---

[1] ــ التحرير والتنوير ج ١٨ ص ٣٤٤

[2] ــ المائدة : ٧٤ .

[3] ــ بحر العلوم ج ٢ ص ٥٣٣.

[4] ــ الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ١٨/ ينظر الدر المصون ج ٨ ص ٤٧٠ /مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٤٧ / أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، ج٤ ص١٢١ ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،
الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى : "والقصد من تلك الفتنة {أَتَصْبِرُونَ} فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراتبة فيثيبكم مولاكم أم لا تصبرون فتستحقون المعاقبة"[1].

وبذلك يتبين لنا أن قوله (أتصبرون) للرسل وغيرهم ويتوقع حصوله منهم ــ عليهم السلام ــ ومن غيرهم ، والصواب حمل الآية على العموم ، وهو ما ذهب إليه الإمام الشوكاني وجمهور المفسرين .

الموضع الثالث: قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً) الفرقان : ٢١ .

اختيار الإمام الشوكاني: قال الإمام الشوكاني عند تفسيره للآية : "وقال الذين لا يرجون لقاءنا هذه المقالة ــ لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ــ ، وهى من جملة شبههم التي قدحوا بها في النبوة، والجملة معطوفة على (وقالوا ما لهذا) أي: وقال المشركون الذين لا يبالون بلقاء الله كما في قول الشاعر:

لعمرك ما أرجو إذا كنت مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي[2]

---

[1] ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٨٠ .

[2] ــ البيت لخبيب بن عدى ، في كتاب المقصور والممدود، المؤلف: أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (٢٨٠ هـ – ٣٥٦ هـ).ج١ ص ٣٤٠ ،المحقق: د. أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)،الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩ م/ وكتاب الأضداد، المؤلف: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: ==

أي لا أبالي، وقيل: المعنى لا يخافون لقاء ربهم كقول الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وخالفها في بيت نوب عوامل[1]

أي: لم يخف، وهي لغة تهامة. وقيل: لا يأملون، ومنه قول الشاعر:

أترجو أمة قتلت حسينا ... شفاعة جده يوم الحساب[2]

والحمل على المعنى الحقيقي أولى، فالمعنى: لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من الثواب، ومعلوم أن من لا يرجو الثواب لا يخاف العقاب "[3].

==

٣٢٨هـ) ، ص ١٠ ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م. والشاهد في البيت أن الفعل ما أرجو بمعنى لا أبالى .

[1] ــ البيت لأبى ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين / ج ١ ص ١٤٣ ، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م. والشاهد فيه : أن لا يرجون بمعنى لا يخافون .

[2] ــ البيت في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، ج٥ ص ١٠٧ ، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م / البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ج٨ ص ٢٠٠ ، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م، والبيت لا يعلم قائله والشاهد فيه : أن الفعل أترجو أمة بمعنى : يأملون .

[3] ــ فتح القدير ج٤ ص ٨٠

بيان القاعدة التي اعتمد عليها الإمام الشوكاني في الترجيح :

صرح الامام الشوكاني بالقاعدة التي استند إليها في اختيار المعنى الراجح ، وهى الحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز؛ لأن الكلام إذا أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز القول فيه بالمجاز ، لذلك استبعد حمل المعنى على الخوف ؛ لأن استعمال الرجاء في معنى الخوف مجاز ، وقد سبق شرح هذه القاعدة في موضع سابق[1] .

أقوال المفسرين في الآية : اختار الإمام ابن عطية حمل الرجاء على معناه الحقيقي حيث قال عند تفسيره للآية الكريمة : " والذي يظهر لي أن الرجاء في هذه الآية على بابه ؛لأن خوف لقاء الله تعالى مقترن أبدًا برجائه، فإذا نفي الرجاء عن أحد فإنما أخبر عنه أنه مكذب بالبعث لنفي الخوف والرجاء"[2].

وقال الفخر الرازي :"قال الفراء قوله تعالى: وقال الذين لا يرجون لقاءنا معناه: لا يخافون لقاءنا ووضع الرجاء في موضع الخوف لغة تهامية إذا كان معه جحد، ومثله قوله تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)[3]، أي لا تخافون له عظمة، وقال القاضي: لا وجه لذلك؛ لأن الكلام متى أمكن حمله على الحقيقة لم يجز حمله على المجاز، ومعلوم أن من حال عُباد الأصنام أنهم كما لا يخافون العقاب لتكذيبهم بالمعاد، فكذلك لا يرجون

---

[1] ــ ينظر: ص ٣٠ .

[2] ــ المحرر الوجيز ج٤ ص ٢٠٥ .

[3] ــ نوح : ١٣ .

لقاءنا ووعدنا على الطاعة من الجنة والثواب، ومعلوم أن من لا يرجو ذلك لا يخاف العقاب أيضًا، فالخوف تابع لهذا الرجاء"[1].

وقال ابن جزى : "(لا يَرْجُونَ لِقاءَنا) قيل: معناه لا يخافون، والصحيح أنه على بابه؛ لأن لقاء الله يرجى ويخاف "[2].

وقال أبو حيان : "والظاهر حمل الرجاء على المشهور من استعماله، والمعنى: لا يأملون لقاءنا بالخير وثوابنا على الطاعة لتكذيبهم بالبعث لكفرهم بما جئت به"[3].

وبذلك يتبين لنا أن الإمام الشوكاني وافق الفخر الرازي وابن عطية وأبو حيان وابن جزي في اختيار القول الراجح واستند جميعهم إلى قاعدة : حمل اللفظ على حقيقته واستعماله في بابه هو الأولى .

الموضع الرابع : قوله تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) الفرقان: ٢٣ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : ذكر الإمام الشوكاني في معنى الهباء أقوال متعددة منها : أن الهباء التراب الذي تطيره الريح كأنه دخان، وقيل : هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس يشبه الغبار، وقيل: أن الهباء ما أذرته الرياح من يابس أوراق الشجر، وقيل : هو الماء المهراق، وقيل :

---

[1] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٤٧.

[2] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ج ٢ ص ٨١ .

[3] ــ البحر المحيط ج ٨ ص ٩٦ .

الرماد. ثم علق على هذه الأقوال قائلا : "والأول هو الذي ثبت في لغة العرب، ونقله العارفون بها "[1].

وهذه المقولة تعد ترجيحًا للمعنى الأول، مع التصريح بعلة الترجيح، وهى استناده إلى المشهور من لغة العرب التي نزل القرآن بها.

بيان القاعدة التي اعتمد عليها الإمام الشوكاني في الترجيح :

يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر .

شرح القاعدة : يجب أن يفسر القرآن الكريم ويحمل على أحسن المحامل وأفصح الوجوه، فلا يحمل على معنى ركيك ولا لفظ ضعيف ، وإنما يحمل على المعروف عند العرب من الأوجه المطردة دون الشاذة والضعيفة، ويحمل على الأكثر استعمالا دون القليل والنادر، ويحمل على المعاني والعادات والعرف الذى نزل به القرآن والسنة، دون ما حدث واستجد بعد التنزيل ؛ وذلك لأن القرآن أفصح الكلام ، ونزل على أفصح اللغات وأشهرها ، فلا يعدل به عن ذلك كله وله فيه وجه صحيح [2].

أقوال المفسرين في الآية : حمل جمهور المفسرين (الهباء) على أنه: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار، يحسبه الناظر غبارًا وليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه، ولا يرى ذلك في الظل[3].

---

[1] ــ فتح القدير ج ٤ ص ٨٢.

[2] ــ مختصر قواعد الترجيح ص ١٤٣.

[3] ــ ينظر : غريب القرآن ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، ج١ ص ٢٦٨ ، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب ==

قال الإمام ابن عطية : "وقصدنا إلى أعمالهم التي هي في الحقيقة لا تزن شيئًا إذ لا نية معها فجعلناها على ما تستحق لا تعد شيئًا وصيرناها هَبـــاءً مَنْثُورًا أي شيئًا لا تحصيل له، والهباء هي الأجرام المستدقة الشائعة فـــي الهواء التي لا يدركها حس إلا حين تدخل الشمس على مكان ضيق يحيط به الظل كالكوة أو نحوها، فيظهر حينئذ فيما قابل الشمس أشـــياء تغيـــب وتظهر فذلك هو الهباء ، وقال ابن عباس الهباء المنثور: ما تســـفي بـــه الرياح وتبثه، وروي عنه أنه قال أيضا الهباء : المـــاء المهـــراق والأول أصح "[1].

وترى الباحثة ــ والله أعلم ــ أن المعنى الأول والثاني والخامس من باب التعبير عن المعنى الواحد بعبارات مختلفة ، فإن التراب أو الرماد معناهما واحد وكلاهما عندما تطيره الريح يكون غبارًا، فالأقوال الثلاثة تعد قولًـــا واحدًا ،ويؤيد ذلك أقوال أهل اللغة في الآية ،حيث بينوا أن مادة الهباء في اللغة تدل على : دقاق التراب وما نبت في الهواء الذى يبدو فـــي ضـــوء الشمس [2].

==

العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـــ – ١٩٧٨م / معانى القرآن وإعرابه ج٤ ص ٦٤ / الكشاف ج٣ ص ٢٧٤ / مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٥١/ أنوار التنزيل ج٤ ص ١٢٢.

[1] ــ . المحرر الوجيز ج ٤ص ٢٠٧بإيجاز .

[2] ــ ينظر: المفردات في غريب القرآن كتاب الهاء ،ج ١ ص ٨٣٢ / بصـــائر ذوى التمييز ، بصيرة فى: الهَبوة ، ج٥ ص ٣٠٢ / الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، فصل الهاء ج ٦ ص ٢٥٣٢ .

وبذلك يتبين لنا أن الراجح في معنى "هباءًا منثورًا " غبار الرماد والتراب، ويبعد أن يكون الماء المهراق ، أو ما يطير في الهواء من أوراق الشجر، وهو ما صرح به جمهور المفسرين واختاره الإمام الشوكاني .

الموضع الخامس : قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) . الفرقان : ٢٧ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : قال الإمام الشوكاني عند تفسيره للآية : " الظاهر أن العض هنا حقيقة، ولا مانع من ذلك ولا موجب لتأويله. وقيل: هو كناية عن الغيظ والحسرة "[١].

ويبدو من عبارة الإمام الشوكاني أنه اختار القول بأن عض الظالم على يديه يوم القيامة محمول على الحقيقة ؛ لأنه لا يوجد ما يوجب القول بالمجاز.

القاعدة التي اعتمد عليها الإمام في اختيار المعنى : يجب حمل كلام الله على الحقيقة ، ولا يجوز العدول به عنها وله فيها محمل صحيح[٢] .

أقوال المفسرين في هذه الآية : من المفسرين الذين حملوا العض على حقيقته الإمام ابن جرير الطبري ، والإمام الزجاج [٣].

---

[١] ــ فتح القدير ج٤ ص ٨٤ .

[٢] ــ سبق شرح القاعدة ص ٣٠ .

[٣] ــ ينظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ج ١٩ ص ٢٦٢ تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م / معانى القرآن للزجاج ج٤ ص ٦٥ .

وصرح الإمام أبو حيان بترجيح العض على حقيقته فقال : "والظـــاهر أن الظالم يعض على يديه فعل النادم المتفجع. وقال الضحاك: يأكل يديه إلى المرفق ثم تنبت، ولا يزال كذلك كلما أكلها نبتت. وقيل: هو مجاز عبر به عن التحير والغم والندم والتفجع، ونقل أئمة اللغة أن المتأسف المتحـــزن المتندم يعض على إبهامه ندما "[1].

ومن المفسرين من رجح المعنى على المجاز كالإمام الزمخشـــري حيـــث قال: "عض الأنامل واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأســـنان وفروعها كنايات عن الغيظ والحسرة ؛ لأنها من روادفها فتذكر الرادفـــة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجد عند لفظ المكنى عنه "[2].

وقال الفخر الرازي :" وقال أهل التحقيق هذه اللفظـــة مشـــعرة بالتحســـر والغم، يقال عض أنامله وعض على يديه "[3].

وقال السمين الحلبى : "والعض هنا كناية عن شدة اللزوم ، وهذه الكنايـــة أبلغ من تصريح المكنى عنه"[4].

---

[1] ــ البحر المحيط ج ٨ ص ١٠١ ، ١٠٢.

[2] ــ الكشاف ج٣ ص ٢٧٦ / ينظر : أنـــوار التنزيـــل للبيضـــاوي ج ٤ ص ١٢٢ / مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بـــن محمـــود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـــ)، ج٢ ص ٥٣٤ ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشـــر: دار الكلـــم الطيـــب، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـــ - ١٩٩٨.

[3] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٥٤/ وينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ج ٢ ص ٨١ .

[4] ــ الدر المصون ج ٨ ص ٤٧٩ .

وقال الإمام ابن عاشور :"والعض على اليد كناية عن الندامة ؛ لأنهم تعارفوا في بعض أغراض الكلام أن يصحبوها بحركات بالجسد مثل وضع اليد على الفم عند التعجب. قال تعالى:(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ)[1]، ومنه في الندم قرع السن بالأصبع، وعض السبابة، وعض اليد. وفي الغيظ عض الأنامل قال تعالى: (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ)[2]، وكانت كنايات بناءً على ما يلازمها في العرف من معان نفسية"[3].

وقال الإمام الشنقيطي :"ويوم يعض الظالم على يديه كناية عن شدة الندم والحسرة؛ لأن النادم ندمًا شديدًا، يعض على يديه "[4].

مما سبق من أقوال المفسرين يتبين لنا أن الإمام الشوكاني حمل العض في الآية على حقيقته، وخالف الإمام الزمخشري ، والإمام البيضاوي، والسمين الحلبى، والإمام النسفي حيث يرون أن القول بالمجاز أفصح وأبلغ.

وترى الباحثة أن اختيار المعنى المجازي في هذا الموضع أولى وذلك لعدة أسباب : ١ ــ صلاحية اللفظ للمعنى المجازي مع عدم امتناع إرادة المعنى

---

[1] ــ إبراهيم : ٩ .

[2] ــ آل عمران : ١١٩.

[3] ــ التحرير والتنوير ج ١٩ ص ١٢بإيجاز .

[4] ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ج٦ ص ٤٥، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

الحقيقي؛ وذلك لأن القرينة في الكناية غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، فالقول بالمجاز لا يمنع القول بالحقيقة.

٢ ــ أن المتعارف عليه في لغة العرب استعمال لفظة العض على اليدين للدلالة على الحسرة والندم ، حيث يلزم من ذكر العض إرادة الندم والحسرة ، وقد جرت عادة الناس على ذلك[١]، فهي من المتلازمات .

الموضع السادس : قوله تعالى (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) الفرقان: ٢٧ ، ٢٨ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية :

قال الإمام عند تفسيره للآية : " والمراد بالظالم كل ظالم يرد ذلك المكان وينزل المنزل، ولا ينافيه ورود الآية على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب "[٢].

يقصد الإمام بذلك أن لفظ الظالم يشمل كل من تنطبق عليه صفة الظلم، ولا يقتصر على من نزلت فيه الآية، فقد روي أن هذه الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط وأنه كان عزم على الإسلام فبلغ ذلك أمية بن خلف فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن أسلمت، إن كلمتك أبدًا، فامتنع عقبة من الإسلام لقول أمية فإذا كان يوم القيامة أكل يده ندمًا وتمنى أن آمن واتخذ مع النبي ــ عليه السلام ــ طريقًا إلى الجنة. وفي رواية عن

[١] ــ ينظر : المفردات في غريب القرآن كتاب العين مادة عض ج١ ص ٥٧١.
[٢] ــ فتح القدير ج٤ ص ٨٤ .

ابن عباس :كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية[1].

القاعدة التي اعتمد عليها الإمام عند الترجيح : صرح الإمام الشوكاني بالقاعدة التي بنى عليها اختياره ، وهى قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وفى الآية الكريمة ما يفيد العموم أيضًا ، وهو دخول الألف واللام على وصف الظالم ، فقد أجمع أهل الأصول واللغة على أن الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه، فالآية تعم كل ظالم كافر، وعقبة وغيره يدخلون في العموم [2].

---

[1] ــ ينظر : جامع البيان ج ١٩ ص ٢٦٢ / النكت والعيون ج ٤ ص١٤٣ / أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ص ٣٤٤ . المحقق: كمال بسيوني زغلول ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ ،وقال المحقق : إسناده ضعيف جدا، فيه عنعنة ابن جريج، وهو مدلس، وفيه إرسال بين عطاء الخراساني وابن عباس ، وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ، فصل : ما حدث من العجزات في غزوة بدر، برقم :٤٠١، ج١ ص ٤٧٠ ، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره، والكلبي كذاب متهم، وأبو صالح ضعيف/ زاد المسير ج ٣ ص ٣١٨ ، ٣١٩.

[2] ــ ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه ج ٤ ص ٨٢ / القواعد الحسان لتفسير القرآن ص ١٣.

أقوال المفسرين في الآية : قال الإمام ابن عطية : "ويظهر أن الظَّالِمُ عام، وأن مقصد الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله بأنه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى أن لو لم تطع في دنياها خلانها الذين أمروهم بالظلم، فلما كان خليل كل ظالم غير خليل الآخر وكان كل ظالم يسمي رجلا خاصًا به عبر عن ذلك بـ «فلان» الذي فيه الشياع التام ومعناه واحد من الناس، وليس من ظالم إلا وله في دنياه خليل يعينه ويحرضه هذا في الأغلب، ويشبه أن سبب الآية وترتب هذا المعنى كان عقبة وأبيًا، وقوله (مَعَ الرَّسُولِ) يقوي ذلك بأن يجعل تعريف الرَّسُولِ للعهد والإشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى التأويل الأول التعريف بالجنس"[1].

وقال الفخر الرازي :" واعلم أن إجراء اللفظ على العموم ليس لنفس اللفظ؛ لأنا بينا في أصول الفقه أن الألف واللام إذا دخل على الاسم المفرد لا يفيد العموم بل إنما يفيده للقرينة من حيث إن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف، فدل ذلك على أن المؤثر في العض على اليدين كونه ظالما وحينئذ يعم الحكم لعموم علته، وهذا القول أولى من التخصيص بصورة واحدة ؛ لأن هذا الذي ذكرناه يقتضي العموم، ونزوله في واقعة أخرى خاصة لا ينافي أن يكون المراد هو العموم حتى يدخل فيه تلك الصورة وغيرها ؛ ولأن المقصود من الآية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل

[1] ــ المحرر الوجيز ج٤ ص ٢٠٨.

إلا بالعموم"[1]. وبنحو ذلك قال الإمام البيضاوي ، والإمام أبو حيان ، والإمام الألوسي ، والإمام ابن عاشور [2].

وصرح بالعموم أيضا الإمام ابن كثير حيث قال : "وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم، كما قال تعالى: { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا }[3]، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم، ويعض على يديه قائلا : { يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا }، يعني: من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلالة من دعاة الضلالة ، وسواء في ذلك أمية بن خلف، أو أخوه أبي بن خلف، أو غيرهما"[4].

وقال الإمام الشنقيطي :" من المشهور عند علماء التفسير أن الظالم الذي نزلت فيه هذه الآية، هو عقبة بن أبي معيط، وأن فلانا الذي أضله عن الذكر أمية بن خلف، أو أخوه أبي بن خلف، وذكر بعضهم أن في قراءة بعض الصحابة. ليتني لم أتخذ أبيا خليلا ــ ، وهو على تقدير ثبوته من

---

[1] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٥٥.

[2] ــ ينظر: أنوار التنزيل ج٤ ص ١٢٢/ البحر المحيط ج ٨ ص ١٠١ ، ١٠٢ / . روح المعاني ج١٠ ص ١٢/ التحرير والتنوير ج ١٩ ص ١١.

[3] ــ الأحزاب : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

[4] ــ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ج٦ ص ١٠٨ ،المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

قبيل التفسير، لا القراءة، وعلى كل حال فالعبرة بعموم الألفاظ، لا بخصوص الأسباب، فكل ظالم أطاع خليله في الكفر، حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي معيط"[1].

وبذلك يتبين لنا أن الامام الشوكاني وافق جمهور المفسرين في القول بعموم الظالم ، وأن أل في الآية للجنس وليست للعهد .

الموضع السابع : قوله تعالى : (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) الفرقان : ٥٢ .

قال الإمام الشوكاني عند تفسيره للآية :" والضمير في (وجاهدهم به جهادا كبيرا) راجع إلى القرآن، أي: جاهدهم بالقرآن، واتل عليهم ما فيه من القوارع، والزواجر والأوامر، والنواهي. وقيل: الضمير يرجع إلى الإسلام، وقيل: بالسيف، والأول أولى. وهذه السورة مكية، والأمر بالقتال إنما كان بعد الهجرة. وقيل: الضمير راجع إلى ترك الطاعة المفهوم من قوله: فلا تطع الكافرين ، وقيل: الضمير يرجع إلى ما دل عليه قوله: ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا ؛ لأنه سبحانه لو بعث في كل قرية نذيرًا لم يكن على كل نذير إلا مجاهدة القرية التي أرسل إليها، وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا جرم اجتمع عليه كل المجاهدات، فكبر جهاده، وعظم وصار جامعًا لكل مجاهدة، ولا يخفى ما في هذين الوجهين من البعد"[2].

---

[1] ــ أضواء البيان ج ٦ ص ٤٥ .

[2] ــ فتح القدير ج٤ ص٩٤ ، ٩٥.

مما سبق يظهر لنا أن الإمام الشوكاني اختار عود الضمير في الآية على القرآن، واستبعد عوده على السيف ؛ لأن السورة مكية والقتال شرع في المدينة ، كما استبعد القولان الأخيران مبيناً أن حمل المعنى عليهما فيه بعد.

بيان القاعدة التي بنى عليها الإمام اختياره : نوه الإمام الشوكاني عن القاعدة التي بنى عليها اختياره بقوله : "وهذه السورة مكية، والأمر بالقتال إنما كان بعد الهجرة"،أي أنه استند في ترجيحه على العلم بالمكي والمدني.

وقد أشار الإمام السيوطي إلى أهمية العلم بالمكي والمدني وتاريخ نزول الآيات فقال :" ويعد العلم بزمن نزول الآيات وترتيب ما نزل بمكة والمدينة من أشرف علوم القرآن، من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى ؛ لأنه يعين على فهم آيات القرآن فهمًا صحيحًا ،ودفع الإشكال عنها"[1].

والعلم بالمكي والمدني وزمن نزول الآيات من قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار، فإذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير، أي إذا اختلف العلماء في تفسير آية من كتاب الله ، فالقول الذى يوافق تاريخ نزول الآية هو القول الراجح ، والقول الذى يخالف تاريخ نزولها ولا يتفق معه فهو قول ضعيف أو مردود[2].

---

[1] ــ الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ج١ ص ٣٦ بتصرف ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

[2] ــ مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٠٢ .

أقوال المفسرين في الآية : رجح الفخر الرازي عود الضمير في (به) إلى مفهوم قوله (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) ، والمعنى: وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادًا كبيرًا جامعا لكل مجاهدة[1].

واختار الإمام البغوي، والإمام ابن عطية ،عود الضمير إلى القرآن ، والمعنى : جاهدهم بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة ،حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ،ويذعنوا للعمل بجميعه طوعًا وكرهًا[2].

واستبعد الإمام أبو السعود عود الضمير لترك الطاعة المفهوم من قوله (فلا تطع الكافرين) ؛ وذلك لأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا، وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير، إلا أن تجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم ،كأنه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[3].

واستبعد أيضا جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى(ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) من كونه صلى الله عليه وسلم نذير كافة القرى؛ لأنه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على

---

[1] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٧٤ .

[2] ــ ينظر: معالم التنزيل ج٣ ص ٤٥٢/ المحرر الوجيز ج٤ ص ٢١٣.

[3] ــ التحريم : ٩ . / التوبة : ٧٣ .

رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له صلى الله عليه وسلم وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادًا كبيرًا جامعًا لكل مجاهدة ،وذلك فيه بعد ؛ لأن سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزية فإنه بين بنفسه ، وإنما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية[1] .

مما سبق يتبين لنا أن الراجح ما اختاره الإمام الشوكاني ؛ لاستناده للقاعدة التفسيرية التي صرح بها ، ويؤيده أيضًا قاعدة أخرى ، هي : إذا جاء ضمير في سياق قرآني ، وتعددت الاحتمالات في مرجعه فرجوعه إلى المحدث عنه في السياق أولى من رجوعه إلى غيره ؛ لأنه هو المقصود بالكلام ، وإليه يتجه الخطاب. وهذه القاعدة من قواعد الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير[2].

وقد ذكر القرآن في مطلع السورة وفى وسطها، وقبل هذه الآية في قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) على قول من قال بعود الضمير إلى القرآن، وبذلك يكون هذا الموضع اجتمع عليه قاعدتان من قواعد الترجيح ، ويؤيده أيضًا استبعاد الإمام أبو السعود للقول الرابع والخامس وتضعيفه لهما؛ لأن الإشارة إلى ضعف أحد الأقوال يعد ترجيحًا لما عداه، وفى ذلك إشارة إلى صحة القول بأن الضمير يعود إلى القرآن .

الموضع الثامن : قوله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) الفرقان : ٧٢ .

---

[1] ــ إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ٢٢٥ / ينظر: روح المعاني ج١٠ ص ٣٣ .

[2] ــ ينظر : الإتقان ج ٢ ص ٣٣٤ / قواعد الترجيح عند المفسرين ص ٢٣٢ .

ذكر الإمام الشوكاني اختلاف المفسرين في المراد بالزور في الآية الكريمة ، وحاصله : أن يشهدون إن كان من الشهادة، ففي الكلام مضاف محذوف، أي: لا يشهدون شهادة الزور ، وإن كان من الشهود والحضور، ــ وهو قول جمهور المفسرين ــ فقد اختلف في معناه، فقال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم، وقال محمد بن الحنفية[1]: لا يحضرون اللهو والغناء، وقال ابن جريج[2]: الكذب. وروي عن مجاهد أيضا، واختار الإمام الشوكاني حمل اللفظ على العموم فقال : "والأولى عدم التخصيص بنوع من أنواع الزور، بل المراد الذين لا يحضرون ما يصدق عليه اسم الزور كائنا ما كان "[3].

---

[1] ــ محمد بن الحنفية : أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، المعروف بابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة ، ويقال بل كانت من سبي اليمامة، وصارت إلى علي رضي الله عنه، وقيل بل كانت سندية سوداء، وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم، وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق، ولم يصالحهم على أنفسهم. ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، ج ٤ ص ١٦٩ ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ــ ١٩٧١.

[2] ــ ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي مولى أمية بن خالد، ويقال: إن جريجا كان عبدا لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبي العيص بن أمية، فنسب ولاؤه إليه. ينظر: تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ج ١٢ ص ١٤٢ ،المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م

[3] ــ فتح القدير ج٤ ص ١٠٣ .

القاعدة التي بنى عليها الإمام اختياره: استند الإمام الشوكاني في ترجيحه على قاعدة "حمل اللفظ على عمومه"، فإن المعهود من ألفاظ القرآن كلها أنها تكون دالة على جملة معان فيعبر هذا عن بعضها وهذا عن بعضها واللفظ يجمع ذلك كله[1].

وقد أشاد الشيخ عبد الرحمن السعدي بهذه القاعدة ونوه عن فضلها فقال: "وأما نفس ألفاظ القرآن الحكيم فإن كثيرًا منها من الألفاظ الجوامع، وهي من أعظم الأدلة على أنها تنزيل من حكيم حميد، وعلى صدق من أعطي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً"[2].

وقال الإمام الشنقيطي : "تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع "[3].

أقوال المفسرين في الآية :

اختار الإمام الطبري حمل الزور في الآية على عمومه وصرح بعلة اختياره ، حيث قال عند تفسيره للآية : "وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسَّن لأهله، حتى قد ظنوا أنه

---

[1] ــ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، ص ٣٠٨ ، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

[2] ــ القواعد الحسان ص ١٦٨ .

[3] ــ أضواء البيان ج ٢ ص ٢٥٩ .

حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظنّ صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور.

فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئًا من الباطل لا شركًا، ولا غناءً، ولا كذبًا ولا غيره، وكلّ ما لزمه اسم الزور؛ لأن الله عمّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل"[1].

ونوه الفخر الرازي إلى العموم بعد ذكره الأقوال المختلفة في المراد بـ (لا يشهدون الزور) حيث عقب عليها قائلًا :" واعلم أن كل هذه الوجوه محتملة ولكن استعماله في الكذب أكثر"[2].

واختار العموم أيضا الإمام الألوسي حيث قال عند تفسيره للآية : " ويجوز أن يراد بالزور ما يعم كل شيء باطل مائل عن جهة الحق من الشرك والكذب والغناء والنياحة ونحوها، فكأنه قيل: لا يشهدون مجالس الباطل لما في ذلك من الإشعار بالرضا به، وأيضًا من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه "[3].

واختار ابن جزي تخصيصه بالكذب فقال :"(يَشْهَدُونَ الزُّورَ)، أي لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة، وقيل: معناه لا يحضرون

---

[1] ــ جامع البيان ج١٩ ص٣١٤ .

[2] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٨٥ .

[3] ــ روح المعاني ج ١٠ ص ٥٠ .

مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المشـــاهدة والحضـــور، والأول أظهر"[1].

وبذلك يظهر لنا أن اختيار الإمام الشوكاني للمعنى الراجح في هذه الآيـــة جاء موافقاً لما عليه جمهور المفسرين، لكن الإمام ابن جزي رجح حمـــل الآية على التخصيص بالكذب .

[1] ــ التسهيل ج ٢ ص ٨٧.

المطلب الثاني

ما رجحه الإمام الشوكاني دون ذكر قاعدة الترجيح

كان الإمام الشوكاني رحمه الله أحياناً ما يرجح أحد الأقوال الواردة في الآية دونما ذكر للقاعدة التي استند إليها في الترجيح ، وفى هذا المطلب سأتتبع هذه الترجيحات على حسب ترتيب الآيات في السورة الكريمة ، مع الاجتهاد في استنباط القاعدة ، وسوف أتبع ذلك بذكر أقوال المفسرين في الآية بما يدعم ترجيح الإمام الشوكاني ــ رحمه الله ــ ، ويدعم أيضًا القاعدة التي استنبطتها .

الموضع الأول قوله تعالى : {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} .الفرقان : ٢ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : ذكر الإمام في إعراب الاسم الموصول (الذي) ثلاثة أوجه ، فقال عند تفسيره للآية : " الذى له ملك السماوات والأرض دون غيره فهو المتصرف فيهما، ويحتمل أن يكون الموصول الآخر بدلا، أو بيانا للموصول الأول، والوصف أولى، وفيه تنبيه على افتقار الكل إليه في الوجود وتوابعه من البقاء وغيره"[1].

بيان القاعدة التي استند إليها الإمام الشوكاني : بنى الإمام الشوكاني اختياره وترجيحه على قاعدة من قواعد التفسير ، وهى : فائدة الاسم

[1] ــ فتح القدير ج ٤ ص ٧١.

الموصول الدلالة على عِلِّية الحكم؛ أي قرن الأمر بعلته[1]، ولم يصرح الإمام بذكر هذه القاعدة لكنه رجح وفقا لها؛ وذلك لأنه عنى بقوله " وفيه تنبيه على افتقار الكل إليه في الوجود " الإشارة إلى أن من كان كذلك استحق أن يعبد دون سواه ، ومما يؤكد صحة هذا ويؤيده ما ذكره الإمام الطبري عند تفسيره للآية حيث قال : " فالذي الثانية من نعت الذي الأولى، وهما جميعا في موضع رفع، الأولى بقوله تبارك، والثانية نعت لها ويعني بقوله: (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الذي له سلطان السماوات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضاؤه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه "[2].

وفى عبارة الإمام الطبري" فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته" دلالة على أن العلة في وجوب الطاعة هي الاتصاف بهذه الصفات ، وهذا يدعم اختيار الإمام الشوكاني في الآية .

الموضع الثاني : قوله تعالى : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) الفرقان : ٥ .

ذكر الإمام الشوكاني في معنى (اكتتبها) ثلاثة أقوال حيث قال عند تفسيره للآية : "اكتتبها أي: إستكتبها أو كتبها لنفسه، ويجوز أن يكون معنى اكتتبها جمعها من الكتب، وهو الجمع، لا من الكتابة بالقلم. والأول: أولى.

---

[1] ــ فصول في أصول التفسير ص ١٢٥ .

[2] ــ جامع البيان ج ١٩ ص ٢٣٦.

وقرأ طلحة[1] اكتتبها مبنيا للمفعول*، والمعنى: اكتتبها له كاتب؛ لأنه كان أميا لا يكتب"[2] .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : في هذه الآية الكريمة رجح الإمام الشوكاني القول القائل بأن (اكتتبها) معناها : إستكتبها بمعنى كتبها له غيره ،واستبعد القول بأنه كتبها بنفسه أو جمعها من الكتب ؛لأنهما يتعارضان مع ما تواتر من علمهم بأمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنه لم يذكر مستند الترجيح صراحة ولا إيماءً، ولكنه ذكر قراءة شاذة تدعم اختياره للمعنى الراجح .

القاعدة التي بنى عليها الإمام اختياره : هذا الاختيار يستند إلى قاعدة من قواعد الترجيح ، وهى : القول الذى يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية .

فإذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله ، وأيد تصريف الكلمة أو أصل اشتقاقها أحد الأقوال ، فهذا القول هو أولى الأقوال بتفسير الآية ؛ لأن التصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها فتتضح الألفاظ

---

[1] ــ طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن جحدب بن معاوية بن سعد بن الحارث. وكان قارئ أهل الكوفة يقرؤون عليه القرآن، وكان ثقة له أحاديث صالحة، توفي سنة اثنتي عشرة ومائة .ينظر : الطبقات الكبرى ج٦ ص ٣٠٨ بإيجاز.

* هذه القراءة شاذة؛ لأنها لم يتحقق فيها ركن التواتر. ينظر : مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٥.

[2] ــ فتح القدير ج٤ ص٧٢ بإيجاز .

والمعاني المتفرعة عنه [1]. وفى هذه الآية تصريف كلمة (اكتتبها) يدلنا على المعنى الصحيح ،يقال: اكتتب فلان فلاناً: إذا سأله أن يكتُب له كتابًا في حاجة، واسْتَكْتَبه الشيءَ أي سأله أن يَكْتُبَه لَهُ[2].

ويدعم اختيار الإمام الشوكاني أقوال المفسرين في الآية :

قال الفخر الرازي : "ومعنى اكتتب هاهنا أمر أن يكتب له كما يقال احتجم وافتصد إذا أمر بذلك فهي تملى عليه أي تقرأ عليه ، والمعنى أنها كتبت له وهو أمي، فهي تلقى عليه من كتابه ليحفظها؛لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب"[3].

وضعف الإمام أبو حيان تفسير (اكتتبها) بمعنى كتبها أو جمعها من الكتب، وعلق عليه بأنه من جملة كذبهم وافتراءهم عليه صلى الله عليه وسلم ، وجوز أن يكون (اكتتبها) بمعنى أمر بكتابتها كافتصد واحتجم إذا أمر بذلك[4].

وذكر الإمام ابن كثير ما يدعم هذا الترجيح ويقويه حيث قال عند تفسيره للآية: "فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة: أن محمدا رسول الله صلى الله

---

[1] ــ مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٩٦ / ينظر: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ص ١٨٦ ،اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ.

[2] ــ بصائر ذوى التمييز، بصيرة في : كتب ، ج ٤ ص ٣٣٠ /لسان العرب ، فصل الباء ، ج١ ص ٦٩٨.

[3] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٣٣ / ينظر : زاد المسير ج٣ ص ٣١٢.

[4] ــ ينظر : البحر المحيط ج٨ ص ٨٣ / الدر المصون ج ٨ ص ٤٥٥ .

عليه وسلم لم يكن يعاني شيئًا من الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوًا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه، وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بعث إلا الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره. فلما أكرمه الله بما أكرمه به، نصبوا له العداوة، ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وقال تعالى في جواب ما عاندوا هاهنا وافتروا: {قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض}"[1].

وقال الإمام ابن عاشور : "والاكتتاب: افتعال من الكتابة، وصيغة الافتعال تدل على التكلف لحصول الفعل، أي حصوله من فاعل الفعل، فيفيد قوله: اكتتبها أنه تكلف أن يكتبها. ومعنى هذا التكلف أن النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ لما كان أميًا كان إسناد الكتابة إليه إسنادًا مجازيًا فيؤول المعنى: أنه سأل من يكتبها له، أي ينقلها، فكان إسناد الاكتتاب إليه إسنادًا مجازيًا لأنه سببه، والقرينة ما هو مقرر لدى الجميع من أنه أمي لا يكتب، ومن قوله: (فهي تملى عليه) لأنه لو كتبها لنفسه لكان يقرأها بنفسه"[2].

وبذلك يتبين لنا أن اختيار الإمام الشوكاني جاء مستندًا إلى قاعدة من قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب ، وجاء موافقا لما اختاره المفسرون .

---

[1] ــ تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ٩٤ بإيجاز .

[2] ــ التحرير والتنوير ج ١٨ ص ٣٢٥.

الموضع الثالث : قوله تعالى : (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) الفرقان : ١٣ ، ١٤.

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : ذكر الإمام الشوكاني في المراد بالنهى عن الدعاء بالهلاك مرة واحدة والأمر بالدعاء به كثيرًا في قوله تعالى (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) ثلاثة أقوال : **الأول** : أن ذلك جواب قوله (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) والمعنى: أنهم يتمنون هنالك الهلاك وينادونه لما حل بهم من البلاء، فأجيب عليهم بقوله: اتركوا دعاء ثبور واحد، فإن ما أنتم فيه من الهلاك أكبر من ذلك وأعظم، وادعوا ثبورًا كثيرًا، فإن ما أنتم فيه من العذاب أشد من ذلك لطول مدته وعدم تناهيه .

القول الثاني : أن هذا تمثيل وتصوير لحالهم بحال من يقال له ذلك، من غير أن يكون هناك قول .

القول الثالث : أن المعنى إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدًا بل هو ثبور كثير لأن العذاب أنواع .

ثم عقب على هذه الأقوال باختيار القول الراجح قائلا : " والأولى: أن المراد بهذا الجواب عليهم الدلالة على خلود عذابهم وإقناطهم عن حصول ما يتمنونه من الهلاك المنجي لهم مما هم فيه"[1]. وبذلك يتبين لنا أنه رجح المعنى الأول واستبعد الثاني والثالث .

[1] ــ ينظر : فتح القدير ج ٤ ص ٧٥ .

بيان القاعدة التي اعتمد عليها الشوكاني في الترجيح:

في هذه الآية الكريمة لم يصرح الإمام الشوكاني بالقاعدة التي بنى عليها اختياره ولعله استند في ذلك إلى قاعدة مراعاة السياق القرآني ،ويُقصد بها: ادخال الكلام في معانى ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم به [١].

وكان السابقين من الصدر الأول من الصحابة والتابعين يهتمون بالسياق القرآني ويعتمدون عليه في فهم معانى القرآن فقد روي عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أنه حدث أن قوما يدخلون النار ثم يخرجون منها، فقالوا له: أوليس الله تعالى يقول: {يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم}[٢] ؟ فقال لهم أبو سعيد: اقرؤوا ما فوقها: {إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم}[٣،٤].

وفيه تنبيه لهم إلى مراعاة السياق، حتى لا يضلوا في فهم القرآن المجيد، ويضربوا بعض آياته ببعض.

---

[١] ــ مختصر في قواعد الترجيح ص ٥٠ .

[٢] ــ المائدة : ٣٧ .

[٣] ــ المائدة : ٣٦ .

[٤] ــ الأثر أخرجه الإمام الطبري عند تفسيره للآيتين ٣٦ ، ٣٧ من سورة المائدة عن عكرمة عن ابن عباس ج١٠ ص ٢٩٤ .

ومنها ما روي عن مسلم بن يسار – التابعي الجليل، رحمه الله – أنه قال: ((إذا حدثت عن الله حديثا، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده)) [1،2].

فإن النظر إلى سياق الآية من حيث سباقها ولحاقها يعين على تعيين القول الراجح ، وإذا نظرنا إلى سباق الآية فالحديث عن الكفار في قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ... ، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا .... ، وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ .... ، بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) ومعلوم من الدين بالضرورة أن الكفار مخلدون في جهنم ماكثين فيها أبدا ، أما لحاق الآية فقوله (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا) صرح المولى بذكر جنة الخلد للمتقين فناسب ذلك كون النار دار الخلد للكافرين ؛ ولذلك جاء وصف الدعاء بالثبور بالكثرة للدلالة على ديمومة العذاب ، فهي كثرة لا غاية لنهايتها .

---

[1] ــ الأثر في المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، باب : ما قالوا في البكاء من خشية الله ، برقم : ٣٥٥٨٨ ، ج٧ ص ٢٣١ ،المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، باب : مسلم بن يسار ، ج٢ ص ٢٩٢ ، الناشر: دار السعادة – مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

[2] ــ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، المؤلف: عادل بن محمد أبو العلاء ، ص ٢٠ ،٢١ ،الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد١٢٩ – السنة ٣٧ – ١٤٢٥هـ.

ويؤيد اختيار الإمام الشوكاني وتلك القاعدة ما ذكره المفسرون في الآية :

قال الإمام ابن عطية عند تفسيره للآية : "وقوله (لا تَدْعُوا إلى آخر الآية) ، معناه: يقال لهم على معنى التوبيخ والإعلام بأنهم يخلدون ، أي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا كثيرًا لأنكم أهل لذلك"[1].

وقال الفخر الرازي : "إن كثرة الثبور لأنهم في عذاب دائم خالص عن الشوب فلهم في كل وقت من الأوقات التي لا نهاية لها ثبور، أو لأنهم ربما يجدون بسبب ذلك القول نوعًا من الخفة، فإن المعذب إذا صاح وبكى وجد بسببه نوعًا من الخفة فيزجرون عن ذلك، ويخبرون بأن هذا الثبور سيزداد كل يوم ليزداد حزنهم وغمهم "[2].

وقد استبعد الإمام أبو السعود القول القائل : إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم ؛ بأنه لا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه، فلابد أن يكون الجواب إقناطًا لهم من ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد .

ويرى أن قوله تعالى (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) كلام مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور ؟ فقيل: يقال لهم ذلك إقناطًا مما علقوا به

---

[1] ــ المحرر الوجيز ج ٤ ص ٢٠٢ / ينظر الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١١٤/ التفسير المنير ج١٩ ص ٣٠ .

[2] ــ مفاتيح الغيب ج٢٤ ص ٤٣٨ .

أطماعهم من الهلاك وتنبيهًا على أن عذابهم الملجيء لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرة أبدي لا خلاص لهم منه ،وأن كثرة الثبور بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإن ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته ، لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها[1] .

ووافقه الإمام الألوسي في استبعاد القول بأن كثرة الثبور لأن العذاب أنواع وألوان ،و أن المراد بكثرة الدعاء بالثبور تيئيسهم و إقناطهم من رحمة الله[2].

مما سبق من أقوال المفسرين يتبين لنا أن الإمام أبا السعود والإمام الألوسي ضعفا القول الثالث ، والقول الثاني بعيد ؛ لأن القول بالحقيقة أولى مالم يدل دليل على القول بالمجاز ؛ كما أنه يتعارض مع الظاهر من دلالة اللفظ في الآية الكريمة، وأن الراجح في المعنى هو ما اختاره الإمام الشوكاني .

الموضع الرابع : قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) الفرقان : ٣٥ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : ذكر الإمام الشوكاني أوجه الإعراب الجائزة في قوله (وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) فقال : " وهارون عطف

---

[1] ــ إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ بتصرف .

[2] ــ ينظر : روح المعانى ج ٩ ص ٤٣٤ .

بيان، ويجوز أن ينصب على القطع ووزيرا المفعول الثاني، وقيل: حال، والمفعول الثاني: معه، والأول: أولى"[1] .

وبذلك يتبين لنا أنه رجح إعراب (وزيرا)أنه مفعول ثاني لـ (جعلنا)، واستبعد كونه حالا لكنه لم يذكر مستند ترجيحه .

وقد تتبعت أقوال المفسرين في الآية الكريمة فلم أقف على أن أحدهم رجح إعراب "وزيرًا" مفعول به ثاني لجعل ، بل إنهم ذكروا الوجهين دون ترجيح لأحدهما على الأخر .

والحق أن الوجهين جائزان في العربية ، ولعل الإمام الشوكاني اختار هذا الوجه لأنه أدق من حيث المعنى ؛ لأن الفعل جعل فيه دلالة على التحويل والانتقال من حالة إلى أخرى[2].

وفي ذلك دلالة أن هارون ــ عليه السلام ــ لم يعد تابعا ومؤازرًا لموسى ــ عليه السلام ــ لمجرد رابطة الأخوة في النسب والدين ، بل أصبح مكلفًا بحمل عبء الرسالة مع أخيه موسى ــ عليه السلام ــ فتحول بذلك من فرد من أسرته وتابع من أتباعه إلى رسول ووزير .

وقد ورد في القرآن الكريم سؤال موسى ــ عليه السلام ــ المولى ــ عز وجل ــ أن يرسل معه أخاه هارون ليحمل معه عبء الرسالة فقال :

---

[1] ــ فتح القدير ج٤ ص ٨٨.

[2] ــ ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، ج٢ ص ٤٥ ،المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (*) هَارُونَ أَخِي (*) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (*) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (*))[1]، وقال (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ)[2]، وقد دلت آية الفرقان على استجابة المولى لسؤال موسى ــ عليه السلام ــ بأن جعل هارون ــ عليه السلام ــ وزيرًا.

والمعنى: أن الله جعل هارون معاونًا لموسى يلجأ إليه ويعتمد عليه ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة، لأن المتشاركين في الأمر متوازرون عليه[3].

الموضع الخامس : قوله تعالى : (وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهـذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً) الفرقان : ٤١ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية :

قال الإمام الشوكاني عند تفسيره للآية الكريمة : " وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أي: ما يتخذونك إلا هزؤا، أي: مهزوءًا بك، قصر معاملتهم له على اتخاذهم إياه هزوا، فجواب إذا هو إن يتخذونك وقيل: الجواب محذوف، وهو قوله: أهذا الذي وعلى هذا فتكون جملة إن يتخذونك إلا هزوا معترضة، والأول أولى"[4].

---

[1] ــ طه : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

[2] ــ القصص : ٣٤ .

[3] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ج٧ ص ٤٦٣٢ / ينظر : مفاتيح الغيب ج٢٤ ص ٤٥٨ .

[4] ــ فتح القدير ج ٤ ص ٩٠ .

مما سبق يتبين لنا أن (إذا) الشرطية في جوابها قولان : الأول : جملة (إن يتخذونك) ، الثاني : أن الجواب محذوف أي : قالوا أو يقولون (أهذا الذى بعث الله رسولا)، واختار الإمام الشوكاني القول الأول ، ولكنه لم يذكر سبب اختياره .

بيان القاعدة التي بنى عليها الإمام الشوكاني اختياره :

لم يصرح الإمام الشوكاني بسبب اختياره ، ولعله استند إلى قاعدة : القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، فإذا اختلف المفسرون في إعراب آية من كتاب الله تعالى ، فمنهم من يرى افتقار الكلام إلى التقدير، ومنهم من يرى استقلال الكلام وعدم احتياجه إلى ذلك التقدير، والمعنى مستقيم بدونه ، فحمل الآية على الاستقلال مقدم لأجل موافقة الأصل ، فإذا دار الكلام بين التقدير وعدمه ، حمل على عدم التقدير[1].

أقوال المفسرين في الآية : ذكر الإمام القرطبي، والإمام أبو حيان ، والسمين الحلبي ، والألوسي احتمال الآية للوجهين دون ترجيح لأحدهما على الأخر[2].

ويرى الإمام أبو السعود أن جواب الشرط (إن يتخذونك) على معنى ما يتخذونك إلا مهزوءًا بك على معنى قصر معاملتهم معه صلى الله عليه وسلم على اتخاذهم إياه صلى الله عليه وسلم هزؤا ، وقوله تعالى {أهذا

---

[1] ــ ينظر : البرهان في علوم القرآن ج٣ ص ١٠٢ / مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٦٢ .

[2] ــ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص ٣٥ / البحر المحيط ج٨ ص ١٠٨ ، ١٠٩ / الدر المصون ج٨ ص ٤٨٥ / روح المعاني ج١٠ ص ٢٣.

الذى بعث الله رسولا} محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك، أي يستهزؤن بك قائلين أهذا الذي بعث الله رسولا[1].

واختار الإمام ابن عاشور هذا الوجه وصرح بعلة اختياره فقال : "وإذا ظرف زمان مضمن معنى الشرط فلذلك يجعل متعلقه جوابًا له، فجملة (إن يتخذونك إلا هزوًا) جواب إذا"[2].

مما سبق يتبين لنا أن الإمام الشوكاني وافق الإمام أبا السعود في اختياره للوجه الراجح ، و وافقهما الإمام ابن عاشور .

الموضع السادس : قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) الفرقان : ٤٥ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : يرى الإمام الشوكاني أن قوله تعالى (ولو شاء لجعله ساكنا) جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وفى معناها وجهان : الأول: لو شاء سبحانه سكونه لجعله ساكنًا ثابتًا دائمًا مستقرًا لا تنسخه الشمس.

الثاني : لو شاء لمنع الشمس الطلوع، واختار المعنى الأول فقال :"والأول أولى، والتعبير بالسكون عن الإقامة والاستقرار سائغ، ومنه قولهم: سكن فلان بلد كذا: إذا أقام به واستقر فيه "[3].

---

[1] ــ إرشاد العقل السليم ج٦ ص ٢٢٠ بإيجاز.

[2] ــ التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٣٢.

[3] ــ فتح القدير ج ٤ ص ٩٢ .

بيان القاعدة التي بنى عليها الإمام اختياره :

نوه الإمام الشوكاني عن القاعدة التي بنى عليها اختياره بقوله : " والتعبير بالسكون عن الإقامة والاستقرار سائغ .... إلخ " وفى ذلك إشارة إلى قاعدة : القول الذى يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية، فإذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله ، وأيد تصريف الكلمة أو أصل اشتقاقها أحد الأقوال ، فهذا القول هو أولى الأقوال بتفسير الآية ؛ لأن التصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرعة عنها .

وقد يدل تصريف الكلمة واشتقاقها على ضعف أحد الأقوال في تفسير الآية؛ لأجل مخالفته لهما ، وبالتالي ينحصر الصواب فيما عداه من الأقوال[1].

ففي هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها دل أصل الكلمة على المعنى، فالسُّكُونُ: ضد الحركة، ويقال : سَكَنَ الشيءُ يَسْكُنُ سُكونًا إِذَا ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ، أي ثبت واستقر، ويستعمل في الاستيطان نحو: سَكَنَ فلان مكان كذا [2].

---

[1] ــ مختصر قواعد الترجيح ص ١٩٦ ، ١٩٧.

[2] ــ ينظر: المفردات في غريب القرآن ، كتاب : السين ،مادة : سكن ، ج ١ ص ٤١٧/ لسان العرب ، فصل السين المهملة ، مادة : سكن ، ج١٣ص ٢١١.

أقوال المفسرين في الآية :

مما يؤيد اختيار الإمام الشوكاني أقوال المفسرين في الآية ، فقد قال الإمام ابن قتيبة عند تفسيره للآية : "(وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً) أي مستقرّا دائما لا تنسخه الشمس"[1].

وقال الإمام الطبري : قوله: "(وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) يقول: ولو شاء لجعله دائما لا يزول، ممدودًا لا تذهبه الشمس، ولا تنقصه"[2].

وقال ابن عطية: وقوله تعالى"وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً أي ثابتًا غير متحرك ولا منسوخ، لكنه جعل الشَّمْسَ ونسخها إياه وطردها له من موضع إلى موضع دَلِيلًا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه"[3].

واختار الإمام أبو السعود هذا المعنى ، وأشار إلى أن حمل الآية على هذا المعنى يوضح قدرة الله حيث قال عند تفسيره للآية: "{ولو شآء لجعله ساكنا} جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة، ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها وكون مفعولها مضمون الجزاء، أي ولو شاء سكونه لجعله ساكنًا أي ثابتًا على حاله من الطول والامتداد، وإنما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذي هو تغير

---

[1] ــ غريب القرآن ج١ ص ٣١٣ .

[2] ــ جامع البيان ج ١٩ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ / ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ ص ٧٠ / معالم التنزيل ج ٣ ص ٤٤٧.

[3] ــ المحرر الوجيز ج٤ ص ٢١٢ ، ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص ٨٣ / تفسير القرآن العظيم ج٦ ص ١١٤ .

حاله حسب تغير الأوضاع بين الظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالًا، وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لا تنسخه الشمس ، وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحًا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الأمور الحادثة إليه تعالى"[1].

وبذلك يتبين لنا أن اختيار الإمام الشوكاني جاء موافقًا لأقوال المفسرين، وهو الراجح ؛ لموافقته أصل اشتقاق الكلمة ،وقد دل أصل اشتقاق الكلمة على تفسير السكون بالاستقرار والثبوت ، كما أن هذا القول يتناسب مع قاعدة عود الضمير على أقرب مذكور فإن الضمير في قوله (ولو شاء لجعله ساكنا) يعود على الظل ، أي ولوشاء لجعله ثابتا مستقرًا ، ولا يجوز عوده على الشمس على القول الثاني ــ أنه لو شاء لمنع الشمس من الطلوع ــ ؛ لأنه لم يجرى للشمس ذكر قبل ذلك ليعود الضمير عليها، وفيه أيضًا الدلالة على عجائب قدرة الله ؛لأنه لو منع الشمس عن الطلوع لكان استقرار الظل وثبوته أمر حتمي .

الموضع السابع : قوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً}. الفرقان : ٦٠ .

[1] ــ إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ٢٢٢ / ينظر: روح المعاني ج ١٠ ص ٢٧ ، ٢٨.

اختيار الإمام الشوكاني في الآية :

قال الإمام عند تفسيره لقوله تعالى (وزادهم نفورا) :"أي زادهم الأمر بالسجود نفورًا عن الدين وبعدًا عنه، وقيل: زادهم ذكر الرحمن تباعدًا من الإيمان، كذا قال مقاتل، والأول أولى"[1].

ذكر الإمام الشوكاني في هذا الموضع من الآية معنيان ، وهذان المعنيان يبنيان على ما قيل في تفسير قوله تعالى (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) هل كان سؤالهم لجهلهم بالرحمن ، أم كان الاستفهام إنكار وجحود؟ ففي قوله (وما الرحمن) ثلاثة أقوال: **أحدها:** أن العرب لم تكن تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى: وكان مأخوذًا من الكتاب فلما دعوا إلى السجود لله تعالى بهذا الاسم سألواْ عنه مسألة الجاهل به فقالواْ {وَمَا الرَّحْمَنِ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} .

الثاني: أن مسيلمة الكذاب كان يسمى الرحمن ، فلما سمعوا هذا الاسم في القرآن حسبوه مسيلمة ، فأنكروا ما دعوا إليه من السجود له.

الثالث: أن هذا قول قوم كانواْ يجحدون التوحيد ولا يقرون بالله تعالى ، فلما أمروا أن يسجدوا للرحمن ازدادوا نفورًا، وإلا فالعرب المعترفون بالله الذين يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى كانوا يعرفون الرحمن في أسمائه، وأنه اسم مسمى من الرحمة يدل على المبالغة في الوصف [2].

---

[1] ــ فتح القدير ج٤ ص ٩٨ .

[2] ــ النكت والعيون ج ٤ ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

بيان القاعدة التي بنى عليها الإمام اختياره :

رجح الإمام الشوكاني القول بأن سؤالهم لم يكن لجهلهم بل كان إنكار وجحود، وأن السبب في زيادة نفور المشركين هو أمرهم بالسجود للرحمن، ولم يذكر القاعدة التي بنى عليها اختياره ، ولعل الإمام استند في ذلك إلى قاعدة السياق ، فإن سباق هذة الآية الحديث عن قدرة الله في خلق السموات والأرض وما بينهما في مدة زمنية وجيزة تدل على القدرة المطلقة للخالق ، وبيان عظمتة وملكه في قوله (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)[1]، وأتبع ذلك بذكر اسمه تعالى والتعريف به في قوله (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ) وفى ذلك تعريف بالمولى الخالق القادر وأن اسمه الرحمن ، وفى لحاق الآية (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)[2]، وذلك في معرض الاستدلال على قدرة الله خطابًا للمشركين الجاحدين بوحدانية الله وإخلاص العبادة له ، وفى ذلك دليل على أن الضمير المستتر في قوله تعالى (وزادهم نفورًا) يعود على الأمر بالسجود ؛ لأنهم كانوا معرضين جاحدين وزادهم الأمر بالسجود إعراضًا وبعدًا.

أقوال المفسرين في الآية : من المفسرين من حمل سؤال المشركين على أنهم جهلوا لفظ الرحمن ، أو أنهم حسبوه مسيلمة الكذاب ، وبناءً على ذلك

---

[1] ــ الفرقان : ٥٩ .

[2] ــ الفرقان : ٦١ .

فسروا قوله (وزادهم نفورا) على : زادهم ذكر لفظ الرحمن نفورًا، وممن فسر الآية على هذا المعنى : الإمام ابن الجوزي ، والإمام ابن عطية[1] .

ومن المفسرين من حمل سؤال المشركين عن لفظ الرحمن بأنه كان سؤال جحود وإنكار، وأنهم كانوا يعلمون اسم الرحمن، ولكنهم كفروا به، وزادهم الأمر بالسجود نفورًا، وممن حمل الآية على هذا المعنى الإمام الطبري، والإمام الزمخشري ، والإمام ابن جزي[2] .

ويرى الفخر الرازي أن فاعل زيادة النفور هو الأمر بالسجود مع احتمال لفظ الآية للوجهين حيث قال عند تفسيره للآية : "وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فهو خبر عن قوم قالوا هذا القول. ويحتمل أنهم جهلوا الله تعالى، ويحتمل أنهم وإن عرفوه لكنهم جحدوه، ويحتمل أنهم وإن اعترفوا به لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى ، وكثير من المفسرين على هذا القول الأخير قالوا : الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة، والعرب ما عرفوه". ثم استطرد قائلا : " والأقرب أن المراد إنكارهم لله لا للاسم، لأن هذه اللفظة عربية، وهم كانوا يعلمون أنها تفيد المبالغة في الإنعام، ثم إن قلنا بأنهم كانوا منكرين لله كان قولهم: وما الرحمن سؤال طالب عن الحقيقة، وهو يجري مجرى قول فرعون (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)[3]، وإن قلنا بأنهم كانوا مقرين بالله لكنهم جهلوا كونه تعالى

---

[1] ــ ينظر : زاد المسير ج ٣ ص ٣٢٦/ المحرر الوجيز ج ٤ ص ٢١٦.

[2] ــ جامع البيان ج ١٩ ص ٢٨٨ /الكشاف ج ٣ ص ٢٨٩ /التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص ٨٥، ٨٦ .

[3] ــ الشعراء : ٢٣ .

مسمى بهذا الاسم كان قولهم وما الرحمن سؤالا عن الاسم، وزادهم أمره نفورا "[1].

ومما يؤيد القول بأن سؤال هؤلاء لم يكن عن جهل وكان سؤال جحد وإنكار، وأن الأمر بالسجود كان سببًا في نفورهم ما ذكره الإمام ابن عاشور عند تفسيره للآية حيث قال: "والسجود الذي أمروا به سجود الاعتراف له بالوحدانية وهو شعار الإسلام، ولم يكن السجود من عبادتهم وإنما كانوا يطوفون بالأصنام، والاستفهام في (أنسجد لما تأمرنا) إنكار وامتناع، ومقصدهم من ذلك إباء السجود لله لأن السجود الذي أمروا به سجود لله بنية انفراد الله به دون غيره، وهم لا يجيبون إلى ذلك كما قال الله تعالى: (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)[2]، أي فيأبون، وقال: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ)[3]، ويدل على ذلك قوله (وزادهم نفورا) فالنفور من السجود سابق قبل سماع اسم الرحمن.

والضمير المستتر في زادهم عائد إلى القول المأخوذ من وإذا قيل لهم، وإسناد زيادة النفور إلى القول لأنه سبب تلك الزيادة فهم كانوا أصحاب نفور من سجود لله، فلما أمروا بالسجود للرحمان زادوا بعدًا من الإيمان، وهذا كقوله في سورة نوح (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا)" [4، 5].

---

[1] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٧٩ بإيجاز/ ينظر: أنوار التنزيل ج ٤ ص ١٢٩/ البحر المحيط ج ٨ ص ١٢٣/إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ٢٢٧ .

[2] ــ القلم : ٤٣ .

[3] ــ المرسلات : ٤٨ .

[4] ــ نوح : ٦

[5] ــ التحرير والتنوير ج١٩ ص ٦٢، ٦٣ بإيجاز .

مما سبق يتبين لنا أن الراجح في قوله(وزادهم نفورا) الأمر بالسجود، وأن حمل قوله تعالى (وزادهم نفورا) على الأمر بالسجود لا يتعارض مع الوجهين المذكورين؛ لأن كلا الفريقين ــ الجاهل والمنكر ــ أبى السجود والاعتراف لله بالوحدانية ، فمن العرب من علم معنى الرحمن وأنه من اسمائه تعالى، وأبى الاعتراف بالوحدانية و السجود لله تعالى، ومنهم من جهله لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم ، وقد أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم، ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم [1]. وهذ الفريق أيضا أبى الاعتراف بالوحدانية والسجود لله تعالى.

الموضع الثامن : قوله: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) الفرقان : ٦١ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية : قال الإمام الشوكاني عند تفسيره للآية الكريمة :" المراد بالبروج: بروج النجوم، أي: منازلها الاثنا عشر، وقيل: هي النجوم الكبار، والأول أولى. وسميت بروجا، وهي القصور العالية، لأنها للكواكب كالمنازل الرفيعة لمن يسكنها، واشتقاق البرج: من التبرج، وهو الظهور"[2].

بيان القاعدة التي بنى عليها الإمام اختياره :

اختار الإمام تفسير البروج بأنها القصور العالية وهى منازل النجوم ولم يصرح بالقاعدة التي بنى عليها اختياره ، لكن صرح بها الإمام ابن جرير

---

[1] ــ ينظر : تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ١٠٩ .

[2] ــ فتح القدير ج ٤ ص ٩٨ ،٩٩.

عند تفسيره للآية حيث ذكر في معنى البروج القولين السابقين، واختار القول الأول فقال :" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: هي قصور في السماء ؛ لأن ذلك في كلام العرب ،(وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)[1]،وقول الأخطل:

كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِيّ يُشَيِّدُهُ ... بانٍ بِجِصّ وآجُر وأحْجارِ [2]

يعني بالبرج: القصر"[3].

وبذلك يظهر لنا أن الإمام ابن جرير رجح أن البروج هي القصور ، وصرح بعلة الترجيح في قوله : لأن ذلك في كلام العرب، أي أنه يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب ، واستشهد على ذلك بنص من القرآن وشعر العرب .

واختار هذا القول أيضا الفخر الرازي حيث قال عند تفسيره للآية الكريمة: "وأما البروج فهي منازل السيارات وهي مشهورة سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها، واشتقاق البروج من التبرج لظهوره، وفيه قول آخر : أن البروج هي الكواكب العظام والأول أولى لقوله تعالى: (وجعل فيها) أي في البروج ، فإن قيل: لم لا يجوز أن

---

[1] ــ النساء : ٧٨ .

[2] ــ البيت للأخطل في كتاب الغريبين في القرآن والحديث، المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، كتاب الباء ، باب : برج ، ج ١ص ١٦١ ، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ، والبيت شاهد على أن البرج معناه : البناء العالي .

[3] ــ جامع البيان ج ١٩ ص ٢٨٨، ٢٨٩ .

يكون قوله فيها راجعا إلى السماء دون البروج؟ قلنا لأن البـــروج أقـــرب فعود الضمير إليها أولى"[1].

واختاره أيضا الإمام الألوسي ونوه عن علة الترجيح فقال : "وأنت تعلم أنه لم يعهد إطلاق البروج على النجوم ، فالأولى أن يراد بها المعنـــى الأول المروي عن ابن عباس ــ أن البروج في الأصل القصور العالية وأطلقت عليها على طريق التشبيه لكونها للكواكب كالمنازل الرفيعة لســـاكنيها ثـــم شاع فصار حقيقة فيها ــ الذي هو أظهر من الشمس "[2].

ويفهم من كلام العلامة الألوسي ،أن المعهود و المشتهر في كلام العـــرب إطلاق البروج على القصور العالية في السماء التي هي كالمنازل للنجوم ، كما أن تضعيفه للرأي الثاني يعد إثباتًا للأول .

واقتصر الإمام الزمخشري والإمام أبو السعود عند تفسيرهما للآية علـــى تفسير البروج: بأنها منازل الكواكب السيارة، ولم يتعرضا للقـــول الثـــاني بالذكر[3].

وذكر الإمام الشنقيطي أقوال المفسرين في الآية واختار القول القائل بأن البروج هي قصور عظام وهى كالمنازل للكواكب فقال مـــا ملخصـــه : "ظاهر القرآن أن القمر في السماء المبنية لا السماء التي هي مطلـــق مـــا علاك ؛ لأن الله بين في سورة «الحجر» ، أن السماء التـــي جعـــل فيهـــا

---

[1] ــ مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٤٧٩ . ينظر : البحر المحيط ج ٨ ص ١٢٤ /اللبـــاب في تفسير الكتاب ج ١٤ ص ٥٦٠ .

[2] ــ روح المعانى ج ١٠ ص ٤١ .

[3] ــ ينظر : الكشاف ج٣ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ / إرشاد العقل السليم ج٦ ص ٢٢٧ .

البروج هي المحفوظة، قال تعالى : (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِين ، وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ[1]) ، والمحفوظة هي المبنية في قوله تعالى (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)[2] وقوله: (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا)[3]، وليست مطلق ما علاك، فآية «الحجر» هذه دالة على أن ذات البروج هي المبنية المحفوظة، لا مطلق ما علاك.

وإذا علمت ذلك، فاعلم أنه جل وعلا في آية «الفرقان» هذه بين أن القمر في السماء التي جعل فيها البروج ؛ لأنه قال هنا:(تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وذلك دليل على أنها ليست مطلق ما علاك، وهذا الظاهر لا ينبغي للمسلم العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه، مما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم"[4].

مما تقدم يظهر لنا : أن الإمام الشوكاني وافق جمهور المفسرين على أن الراجح في معنى البروج : القصور العالية التي هي كالمنازل للنجوم ، لكنه لم يذكر علة ترجيحه واختياره .

وصرح بعلة الترجيح الإمام ابن جرير والإمام الألوسي ، حيث استندا إلى قاعدة : يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب ، والمعروف في العربية أن بروج السماء هي القصور العالية التي هي منازل الشمس والقمر.

---

[1] ــ الحجر : ١٥ ، ١٦ .

[2] ــ الذاريات : ٤٧ .

[3] ــ النبأ : ١٢ .

[4] ــ أضواء البيان ج٦ ص ٧٢، ٧٣بإيجاز .

واستند الفخر الرازي في ترجيحه إلى قاعدة : إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه .

بينما اعتمد الإمام الشنقيطي في ترجيحه على ظاهر الآية وآيات أخرى من القرآن مستندا في ذلك إلى قاعدة من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني ، وقد صرح بها في قوله : "ظاهر القرآن أولى بالتصديق والقبول ولا يجوز العدول عنه إلا لدليل يجب الرجوع إليه ".

وفي هذه الآية الكريمة تنازعت القواعد على قول واحد .

الموضع العاشر: قوله تعالى {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}.الفرقان : ٧٥ .

اختيار الإمام الشوكاني في الآية:

ذكر الإمام الشوكاني في قوله تعالى : (ويلقون فيها تحية وسلاما) ثلاثة أقوال : الأول : يحيى بعضهم بعضا ، الثاني : يحييهم المولى عز وجل ، الثالث : تحييهم الملائكة وتسلم عليهم .ثم اختار القول الثاني قائلًا : " والظاهر أن هذه التحية والسلام هي من الله سبحانه لهم ، ومن ذلك قوله تعالى: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)"[1]، [2].

بيان القاعدة التي اعتمد عليها الإمام الشوكاني :

في هذه الآية اختار الإمام الشوكاني القول الثاني و لم يذكر مستند لترجيحه ، لكنه نوه عن القاعدة التي بنى عليها اختياره بقوله : والظاهر

---

[1] ــ الأحزاب : ٤٤ .

[2] ــ فتح القدير ج٤ ص ١٠٥/ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص ٨٤.

أن هذه التحية والسلام هي من الله سبحانه لهم، واستشهد على ذلك بقوله سبحانه: (تحيتهم يوم يلقونه سلام) ، وفى ذلك إشارة إلى قاعدة من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني ، وهى تفسير القرآن بالقرآن ، قال العلامة ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في شأن هذه القاعدة :" إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر"[1].

أقوال المفسرين في الآية : ذكر الإمام البغوي والإمام ابن الجوزي أن المراد بقوله (تحيتهم فيها سلام) يحيي بعضهم بعضا بالسلام، ويرسل إليهم الرب عز وجل بالسلام ، دون ترجيح لأحد القولين على الأخر[2].

وقال الإمام البيضاوي:" الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم ، أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه"[3]. وبنحو ذلك قال الإمام النسفي والإمام أبو حيان والإمام أبو السعود والإمام الألوسي دون ترجيح لأحد القولين على الأخر[4].

ومما تقدم يظهر لنا أن الإمام الشوكاني انفرد بالترجيح في هذا الموضع ، وترى الباحثة ــ والله أعلم ــ أن الأولى في هذه الآية حمل قوله تعالى (يلقون فيها تحية) على عموم الأقوال المذكورة في تفسير الآية، فلم يرد

---

[1] ــ ينظر مقدمة في أصول التفسير ص ٣٩ .

[2] ــ معالم التنزيل ج٣ ص٤٦٠ / زاد المسير ج ٣ ص ٣٣٢ .

[3] ــ أنوار التنزيل ج ٤ ص ١٣٢.

[4] ــ ينظر : مدارك التنزيل ج ٢ ص ٥٥٢ / البحر المحيط ج٨ ص ١٣٤ / إرشاد العقل السليم ج٦ ص ٢٣٢ / روح المعاني ج١٠ ص ٥٣.

في سياق الآيات قرينة ترجح القول بتخصيص التحية من الله ، وما استند إليه الإمام في اختياره لا يخصص التحية بأنها من الله عز وجل ؛ وذلك لوجود آيات قرآنية أخرى يجوز حمل المعنى عليها ويحتملها لفظ الآية ، ومما يؤيد ذلك ما ذكره الفخر الرازي عند تفسيره للآية الكريمة حيث قال : "ثم هذه التحية والسلام يمكن أن يكون من الله تعالى لقوله: (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)[1]، ويمكن أن يكون من الملائكة لقوله: (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)[2]، ويمكن أن يكون من بعضهم على بعض لقوله تعالى : (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)"[3] ،[4] .

وقد حمل الشيخ عبدالرحمن السعدى التحية على العموم فقال عند تفسيره للآية : " {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} من ربهم ومن ملائكته الكرام ومن بعض على بعض ، ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات"[5].

و مما يؤيد حمل التحية على العموم أيضًا ما قرره العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع ،ولا داعى لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أن يكون السياق يقتضى تخصيصها حتمًا أو يقوم الدليل على ذلك[6] .

---

[1] ــ يس : ٥٨ .

[2] ــ الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .

[3] ــ يونس : ١٠ .

[4] ــ مفاتيح الغيب ج٢٤ ص ٤٨٨.

[5] ــ تيسير كلام المنان ص ٥٨٧.

[6] ــ ينظر: مختصر قواعد الترجيح ص ٢٠٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد المخلوقات ، محمد بن عبدالله وعلى أله وصحبه أجمعين .

وبعد .

فقد وفقني الله بعونه ومنته إلى إتمام هذا البحث ، فهو جهد مقل في خدمة كتاب الله تعالى، أردت من خلاله أن ألقى الضوء على قواعد الترجيح التي اعتمد عليها الإمام الشوكاني في اختياراته التفسيرية في سورة الفرقان، وبيان مدى موافقته للمفسرين ومخالفته لهم ، سائلة المولى ــ عز وجل ــ أن يغفر لي ما وقع فيه من تقصير، وقد استخلصت من هذه الدراسة بعض النتائج أذكرها على النحو التالي :

١ ــ أن قواعد الترجيح عبارة عن مجموعة من الضوابط والأسس التي استخدمها العلماء لمعرفة الراجح من الأقوال المختلفة في التفسير .

٢ ــ أن مصطلح قواعد الترجيح من المصطلحات الحديثة ، وأن علماء التفسير المتقدمين طبقوا قواعد الترجيح في تفاسيرهم دون التعرض لهذا المصطلح .

٣ ــ أن علم قواعد التفسير من أهم العلوم التي تعين المفسر على فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا ، ولا غنى عنه عند الترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير .

٤ ــ أن الخلاف بين السلف في التفسير قليل ، وغالب ما صح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد .

٥ ــ أن القول المجمع عليه في التفسير لا ترجيح فيه، بل يجب قبوله والأخذ به والعمل بموجبه .

٦ ــ اشتملت سورة الفرقان الحديث عن أهم قضايا القرآن المكي، وهي الحديث عن التوحيد، والنبوة، وأحوال القيامة، وأخبار السابقين، والدعوة إلى فضائل الأخلاق.

٧ ــ من خلال تتبعي لترجيحات الإمام الشوكاني في سورة الفرقان تبين أنه :

أ ــ لم يكن مجرد ناقل لأقوال المفسرين في آيات الذكر الحكيم ، بل كان دائمًا يدقق ويوازن بينها ويختار ما يراه صحيحًا معتمدًا في ذلك على قواعد الترجيح .

ب ــ أن منهجه في الترجيح لم يكن على نسق واحد، فكان أحيانًا يعتمد على القاعدة تنصيصًا أو إشارة ، وفى أحيان أخرى يرجح دون ذكر موجب الترجيح .

ج ــ كان يستدل بالقاعدة ، ويجعلها دليلًا قائمًا بذاته في انتزاع المعاني ، ويرد بها الأقوال البعيدة والمتكلفة .

د ــ قرر في ترجيحه وجوب حمل اللفظ القرآني على حقيقته إلا إذا وجد ما يصرفه عن المعنى الحقيقي .

هـ ــ اعتنى بذكر قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني ، وقواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب .

و ــ أن غالب ما اختاره الإمام الشوكاني وافق فيه اختيار عموم المفسرين، لكنه خالفهم في بعض المواضع وذلك قليل .

ز ــ في بعض الأحيان كان الإمام يرجح وفق قاعدة ، بينما يرجح غيره من المفسرين وفق قاعدة أخرى، ولا غضاضة في ذلك فقد تجتمع القاعدتان على مثال واحد .

التوصيات :

١ ــ أن يدرس علم قواعد الترجيح في الكليات والمعاهد المعنية بالدراسات القرآنية دراسة نظرية؛ وذلك لأهمية هذا العلم فعليه يعتمد في فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا ، وعليه يعول في معرفة التفسير المقبول من غيره .

٢ ــ أن تدرس كتب التفسير ويبين فيها صحة اختيارات وترجيحات المفسرون أو خطؤها، وبيان القواعد التي أقاموا عليها ترجيحاتهم لطلاب الدراسات العليا بقسم التفسير وعلوم القرآن .

٣ ــ أن يدرس بعض أبواب أصول الفقه وطرق الاستنباط من القرآن ؛ وذلك للارتباط الوثيق بين علم أصول الفقه وقواعد الترجيح .

مصادر البحث

١ ــ أبجد العلوم، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢ ــ الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤ ــ أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٥ ــ أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)،المحقق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٦ ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى:

٤٦٣هـ)،المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٧ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)،المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٨ ـ أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٩ ـ الأشباه والنظائر، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٠ ـ أصول في التفسير، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)،أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١.

١١ ـ أصول التفسير وقواعده ، المؤلف : خالد عبدالرحمن العك، الناشر: دار النفائس، بيروت ـ الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م .

١٢ ـ الأضداد، المؤلف: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى:

٣٢٨هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٣ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

١٤ ـ إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري المتوفى (٦١٦هـ ـ ١٢١٩م) ، تحقيق ودراسة : محمد السيد أحمد عزوز، الناشر : عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤١هـ ـ١٩٩٦م.

١٥ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(المتوفى: ٦٨٥هـ)،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٦ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)،المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧ ـ بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، بدون طبعة .

١٨ ــ البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)،الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩ ــ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢٠ ــ البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

٢١ ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٢٢ ــ البرهان في أصول الفقه، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)،المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٢٣ ــ البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه

٢٤ ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـــ)،المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م،

جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.

٢٥ ــ البيان في عدّ آي القرآن، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

٢٦ ــ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

٢٧ ــ تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢٨ ــ التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٢٩ ــ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

٣٠ ــ التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٣١ ــ تفسير القرآن العظيم ،المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

٣٢ ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ.

٣٣ ــ التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٣٤ ــ الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة : وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة

المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م .

٣٥ ــ جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٦ ــ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٧ ــ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣٨ ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣٩ ــ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، المؤلف: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة

العربية، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٤٠ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٥هـ)،المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٤١ ـ ديوان الهذليين، المؤلف: الشعراء الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٤٢ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٣ ـ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٤٤ ـ سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)،تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ،ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)،الناشر: شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٤٥ ــ شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ.

٤٦ ــ صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.

٤٧ ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٤٨ ــ صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٩ ــ الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى:

٢٣٠هـ)،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٥٠ ــ غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)،السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٥١ ــ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

٥٢ ــ فصول في أصول التفسير، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.

٥٣ ــ القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٥٤ ــ قواعد التفسير جمعا ودراسة ، المؤلف: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار ابن القيم- دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ .

٥٥ ــ القواعد الحسان لتفسير القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥٦ ــ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

٥٧ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٥٨ ــ لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٥٩ ــ مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، المؤلف: أبو مُحمَّدٍ، صالحُ بنُ مُحمَّدٍ بنِ حسنٍ آلُ عُمَيِّرٍ، الأسمريُّ، القحْطانيُّ، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٦٠ ــ المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله)، المؤلف: عبد الأول بن حماد الأنصاري، الناشر: - ، الطبعة: الأولى.

٦١ ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٢ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٦٣ ــ المحصول، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٦٤ــ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، الناشر: مكتبة المتنبي ــ القاهرة .

٦٥ ــ مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ، المؤلف : حسين بن على الحربى ، الناشر : دار ابن الجوزي ، الطبعة :الثالثة ، ١٤٣٨هـ .

٦٦ ــ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)،المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج

أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٦٧ ـ مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م.

٦٨ ـ مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٦٩ ـ المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

٧٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٧١ ــ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، المؤلف: عادل بن محمد أبو العلاء، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد١٢٩ - السنة ٣٧ - ١٤٢٥هـ.

٧٢ ــ مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ -١٩٨٧م.

٧٣ ــ المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

٧٤ ــ معالم التنزيل في تفسير القرآن ، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٧٥ ــ معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٧٦ ــ معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي/

محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٧٧ ــ معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٧٨ ــ معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، المؤلف: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

٧٩ ــ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٨٠ ــ المفردات في غريب القرآن ، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٨١ ــ مقدمة في أصول التفسير، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ــ الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨٢ ــ المقصور والممدود، المؤلف: أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (٢٨٠ هـ - ٣٥٦ هـ)، المحقق: د. أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٨٣ ــ الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٨٤ ــ الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨٥ ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨٦ ــ النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٨٧ ــ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث

العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٨٨ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)،المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠،الجزء: ٣ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٧١،الجزء: ٥ – الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠ــ الجزء: ٧ – الطبعة: ١، ١٩٩٤.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	المقدمة
٢	أهمية الموضوع وأسباب اختياري له
٣	الدراسات السابقة
٤	خطة البحث
٥	منهج البحث
٦	المبحث الأول : التعريف بالإمام الشوكاني وقواعد الترجيح
٧	المطلب الأول : التعريف بالإمام الشوكاني وتفسيره
٨	المطلب الثاني : التعريف بقواعد الترجيح ونشأة هذا العلم
٩	المبحث الثاني : الدراسة التحليلية لترجيحات الإمام الشوكاني في سورة الفرقان
١٠	تمهيد : التعريف بسورة الفرقان
١١	المطلب الأول : ما رجحه الإمام الشوكاني مع ذكر قاعدة الترجيح
١٢	المطلب الثاني : ما رجحه الإمام الشوكاني دون ذكر قاعدة الترجيح
١٣	الخاتمة
١٤	نتائج البحث والتوصيات
١٥	مصادر البحث
١٦	فهرس الموضوعات